الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسس–تيسمسيلت–

معهد الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة العربية موسومة ب:

دراسة وتلخيص كتاب :

اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة

لـ : عبد القادر عبد الجليل

تخصص : لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:

* جميل مليكة

* بوليفة خديجة

إشراف:

د/ تواتي خالد

لجنة المناقشة :

د. تواتي خالد	أستاذ محاضر(أ)	مشرفا و مقررا
د.يونسي محمد	أستاذمحاضر(أ)	رئيسا
أ.بوغاري فاطمة	أستاذ مساعد(ب)	مناقشا

الموسم الجامعي:

1440هـ/1441هـ الموافق ل:2019م/2020م.

بسم الله الرحمن الرحيم

تـــشـــكـــرات

لو أنّ الصمت يفهم أي كان لفضلناه في موقعنا هذا لأنّه لأبلغ من كلّ كلام فلم نعرف كيف ننتقي منه الكلمات أطيبها وأزكاها ، ومن العبارات أروعها ومن معاني الشكر ما تترك في النّفس صداها لنتقدّم بها أولا إلى الخالق ذو الفضل والجلال فله الحمد والشكر على إعانته على عملنا هذا ، ثم الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى خاتم الأنبياء والرّسل (محمد صلى الله عليه وسلّم) واعترافا منّا بالجميل والفضل نحاول أن نوجز ما عجز اللّسان أن ينطقه ، وأبت الأنامل إلاّ أن تنقشه ، فأصدق عبارات الشكر الجزيل ، وأعتق آيات الإمتنان وأسمى صفات الاحترام والتقدير نستهلها من ترانيم أفئدتنا وننشرها عبر طيّات مذكرتنا إلى أستاذنا ومرشدنا "تواتي خالد" الذي لم يبخل علينا بعطائه وتوجيهاته القيّمة في سبيل إنجاز هذا العمل المتواضع.

كما لا ننسى من كانوا مصباحا ينير سواد ليلنا، وشموعا توضح منعطفات سبيلنا، أساتذة معهد الآداب واللغات

إلى كلّ الزملاء في معهد الآداب واللّغات، وخاصة دفعة 2019م-2020م، وكل من رافقونا طيلة المشوار الجامعي، وإلى كلّ من ساهم من قريب أو بعيد في سبيل إتمام هذا العمل لكلّ هؤلاء نقول شكرا...شكر

خديجة **مليكة**

إهـــــــــــداء:

بأنامل تخيط أعياه التعب والأرق لا يقوى على الحركة، يتكئ على قطرات حبر مملوءة بالحزن والفرح، حزن يشوبه فراق بعد تجمّع، وفرح يصاحبه فجر جديد من حياتي ،وهو يوم تخرجي أهدي ثمرة نجاحي:

- إلى من كان سندي ومشجعي طوال مشواري الدراسي والجامعي إلى قرة عيني" جدي" حفظه اللّه وأطال في عمره.
- إلى من يعجز القلم عن وصفها، إلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبّرة عن مكنون ذاتها إلى من علمتني وعانت لأصل ما أنا عليه إلى "أمي الغالية "أطال اللّه عمرها.
- إلى من ربّتني وسهرت اللّيالي من أجلي إلى أمي الثانية" جمعة" حفظها اللّه وأطال اللّه في عمرها.
- إلى من أحمل إسمه بكل فخر إلى "أبي العزيز" أطال اللّه عمره.
- إلى الأيادي الطيبة التي مدّت يد العون لنا خلال المشوار الدراسي إلى أساتذتي الأفاضل.
- إلى الورود التي عطرت سجل ذكرياتي إلى إخوتي: أحمد، سمير، فتيحة، سليمان، سعاد.
- إلى حبات اللؤلؤ المتناثرة، محمد عبد الإله، عبد اللّه، جلال.
- إلى من تقاسمت معي جهد هذا العمل وعناءه "جميل مليكة"، شكرا لك يا صديقتي.
- إلى أحلى زهرات قطفتهنّ من حديقة الصداقة : مسعودة، فتيحة، سارة، رندة، حنان، حياة، دليلة، نور الهدى، فضيلة.
- إلى كل من سقط سهوا من قلمي، إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

خديجة

إهداء :

مهما تقدمنا وفتحت أمامنا الطرق ووصلنا لكل ما نحلم به، علينا أن نتذكر من كان سبب نجاحنا، ومن ساندنا وأمسك بيدنا للاستمرار، من وجودهم حفّزنا وشجّعنا، فمهما عبّرنا لهم فالكلمات قليلة، لهذا أقدم لكم ثمرة جهدي بهذه العبارات:

- إلى صاحب القلب الطيّب، والنّفس الأبيّة، والابتسامة الفريدة، إلى من حارب وساهم الكثير من أجلي وكان ذا الفضل الأوّل في بلوغي التعليم العالي "أبي الحبيب" أطال الله في عمره.

- إلى التي ربّتني في صغري، وعلّمتني وراعتني حتى صرت كبيرة، إلى التي أنارت دربي بنصائحها، وزيّنت حياتي بضياء البدر وشموع الفرح، إلى الغالية على قلبي "أمي العزيزة" أطال الله في عمرها.

- إلى من كان لهم بالغ الأثر في كثير من الصعاب والعقبات إخوتي: صفية، ربيعة، زهرة، عمر، عبد القادر، والصغير عبد النور.

- إلى التي التقيتها صدفة فأصبحت أفقد نّفسي وراحتي عندما تغيب، إلى التي صارت معي جنبا إلى جنب في كل صفوف الحياة بالنصح والمحبة والإخاء، إلى أختي العزيزة فتيحة شلاح.

- إلى صديقاتي اللاّتي شاركنّني في أجمل أيام حياتي ودراستي.

- إلى التي شاركتها هذا الجهد وتقاسمت معي هذا النجاح " بوليفة خديجة".

- إلى كل من مدّ يد العون لي، وسقط من قلمي سهوا مني، إلى كل طاقم الأدب العربي، الأساتذة ومؤطّرين دون أن أنسى طبعا إلى زميلاتي وزملائي الطلبة.

مليكة.

البطاقة الفنية

- المؤلّف : عبد القادر عبد الجليل
- المؤلّف: اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة
- دار النشر :دار صفاء للنشر والتوزيع
- الطبعة : الأولى 1432هـ-2011م
- البلد :عمان – الأردن
- السنة : 2010
- عدد الصفحات : 101 صفحة
- حجم الكتاب : متوسط 17*24
- النوع: ورقي غلاف كرتوني
- مجلدات : 01
- اللّغة : عربي

السيرة العلمية والأكاديمية للمؤلف:

- مواليد البصرة :
- دكتوراه فلسفة بريطانيا –جامعة كلاسكو Glasgow University–
- عام 1978 م – مختص في علم اللسانيات (اللّغة والنحو والصرف)
- عضو جمعية المترجمين العراقيين –عضو الاتحاد الدولي للمترجمينF.I . T
- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العربG.U.A. W
- مارس تدريس علم اللّسانيات ، إلى جانب علوم العربية الأخرى ،في جامعة البصرة في العراق ، والجامعة الهاشمية ، وجامعة آل البيت في الأردن منذ عام 1978-1998م.
- يعمل منذ سبتمبر عام 1998 م حتى سبتمبر 2003 م ، أستاذا للسانيات ، ورئيسا للوحدة اللّغة العربية في كلية التربية بصحار – سلطنة عمّان .
- أشرف على عدد من طلاب الدراسات العليا ، وشارك في مناقشة ، وتحكيم رسائل الدرجات العلمية والأكاديمية ،في جامعة البصرة (العراق)، وجامعة آل البيت (الأردن)، وجامعة السلطان قابوس _سلطنة عمّان .

الكتب اللّسانية والمعاجم والبحوث:

أ /المنشورة:

1. البنية اللّغوية في اللّهجة الباهلية – عمّان 1997م
2. الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي – عمّان 1997 م
3. التنوعات اللّغوية –عمّان 1997م
4. المدارس المعجمية – الطبعة الأولى عمّان 1997م1999 م
5. الأصوات اللّغوية – عمّان 1998م
6. هندسة المقاطع الصوتية – عمّان 1998م
7. علم الصرف الصوتي – عمّان 1998م
8. علم اللّسانيات الحديثة – عمّان 2002م
9. الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية – عمّان 2002م
10. ديوان بشامة بن الغدير المرّي – جمع وتحقيق – عمذان 2003م
11. كتاب التنبيهات لعلي بن حمزة البصري –تحقيق – عمّان 2003م
12. معجم الأصول في التراث العربي – عمّان 2005م
13. المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النّحوية والصّرفية – عمّان 2005 م
14. المعجم الوصفي لمباحث علم الدلالة العام – عمّان 2005 م

ب/في دائرة التصنيف :

15. المعجم المعياري لشبكات الفصائل النّحوية
16. منظومة فقه اللّغة وتقنيات الإنشطار الذرّي
17. جدلية الوظائف الدلالية في ميزان الثوابت والمتغيرات .

البحوث العلمية:

- ❖ الاختراع اللّفظي
- ❖ القوانين الصوتية
- ❖ نظرية النظم القرآني
- ❖ حقول الدلالة اللّسانية
- ❖ ثنائية اللفظ والمعنى في المنظور المعرفي
- ❖ قضية التعدد اللّغوي
- ❖ مثلث الكتابة والرواية والتصنيف
- ❖ لغة الأطفال والنمو الصوتي
- ❖ تضافر الوحدات اللّغوية
- ❖ الكمبيوتر وصناعة المعجم
- ❖ الإعلال في ميزان المقاطع الصوتية

مقدمـة

مـــقـــدمـــة :

تعد اللّغة أعرق الحضارات الإنسانية،بل هي أصل الحضارة و صانعة الرقي والتقدم،تؤلف الحد الفاصل بين شعب وشعب وبين أمة وأمة ، بل بين حضارة وحضارة،لأنّ الأفراد الّذين يتكلمون لغة واحدة لا يتفاهمون بيسر وسهولة فحسب،وإنّما هم قادرون على أن يؤسسوا مجتمعا إنسانيا موحدا متجانسا ، لأنّ اللّغة هي قوام الحياة الروحية،والفكرية،والمادية،بها يعمّق الإنسان صلته وأصالته بالمجتمع الذي يولد ويعيش فيه،حيث تخلق اللّغة من أفرادها أمّة متماسكة الأصول موحدة الفروع.

قد حاول علماء اللّغة على مرّ العصور أن يتجهوا غور هذه الظاهرة الفريدة العريقة في حياة البشر،وأن يزيحوا الستار عن سرّ أصلها ونشأتها،ولكنّ عراقة اللّغة وقدمها حالا دون وصول إلى معرفة أصلها ونشأتها ، فانصرف العلماء اللّغويون منهم خاصة عن الخوض في سرّ النشأة ومتاهات الأصل ،ومن هذا المنبر تعددت إشكاليات نشأة اللّغة ومنها:

أإلهام هي أم اصطلاح ؟ وفيما تمثلت نظرياتها اللّغوية؟ وما هي أهم الحضارات القديمة في نشأة اللّغة ؟ وهل هناك تناسب بين الألفاظ ومدلولاتها ؟

في ظل هذه الإشكاليات نجد عبد القادر عبد الجليل في كتابه اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة تطرق إلى معالجة بعض القضايا الّتي تدور حولها الإشكاليات المطروحة عن أصل اللّغة ونشأتها متبعا في ذلك المنهج الإستقرائي الوصفي ،وقد لفت انتباهنا هذا المؤلّف نظرا لما يحتويه أو يتضمّنه من قضايا مهمة تصبّ كلّها في فائدة الباحث العربي من أهمها : أصل اللّغة عند أهل التوقيف والمواضعة ، إضافة إلى ذلك استقراء بعض النصوص النقلية والعقلية .

وفي دراستنا له راودنا مجموعة أسئلة تمثلت في : ماهي أهم القضايا الّتي تناولها الكاتب ؟ ماهو المنهج المتبع في كتاب عبد القادر عبد الجليل ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة الّتي استوقفتنا اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي ، وانطلاقا من هذا التصور ارتأينا أن نقسّم عملنا هذا إلى مقدمة افتتحنا بها هذه الدراسة تمهيدا لموضوع الكتاب ،

ومدخل تناولنا من خلاله أسباب تأليف هذا الكتاب ، إضافة إلى ذكر أهم الدواعي الّتي جعلت المؤلف يكتب هذا الكتاب ، وتقديم وعرض تناولنا فيه فصلين :

الفصل الأول كان تلخيصا لكتاب عبد القادر عبد الجليل .

أمّا الفصل الثاني : دراسة أهم القضايا الّتي جمعناها فلآتي :

-ثنائية اللّغة بدل الإزدواجية

-أصل اللّغة في الحضارات القديمة خاصة بالذكر الحضارة اليونانية ، العبرية ، الآرامية ، والمصرية .

-أصل اللّغة عند أهل التوقيف .

-أصل اللّغة عند أهل المواضعة .

-قضية اللّفظ والمعنى .

-أصول ألفاظ العربية .

-الثنائية وعلاقتها بالمناسبة الطبيعية .

وتحقيق هذا التصور لم يكن بالأمر الهيّن ، حيث صادفتنا العديد من الصعوبات نذكر أهمّها : صعوبة البحث في هذا الموضوع ، صعوبة التحكم في المادة العلمية ، الظروف الصحية الّتي عرفتها البلاد .

ولإتمام العمل على أكمل وجه اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها : المزهر للسيوطي ،دراسات في فقه اللّغة لصبحي صالح ، مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي لنور الهدى لوشن ، علم الدلالة عند العرب فخر الدين الرّازي نموذجا لمحي الدين محسّب .

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل وفائق العرفان والإمتنان لكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إخراج هذا العمل على رأسهم الأستاذ المشرف تواتي خالد ، فنشكره جزيل الشكر على حضوره الدائم ، والشكر موصول إلى الطاقم العلمي لقسم اللّغة العربية وآدابها بالمركز الجامعي تيسمسيلت ، وإلى كل طلبة معهد الآداب واللّغات .

ونرجو من اللّه عز وجلّ التوفيق والسداد في دراستنا لهذا الكتاب ، فإن أصبنا فمن اللّه وإن أخطأنا فمن أنفسنا .

حرر يوم 2020/08/05م

خديجة – مليكة

المدخل

مدخل:

تعتبر اللّغة أرقى وسائل التواصل التي اهتدى إليها الإنسان يوما،وقد شغلت هذه الأخرة المفكرين على مرّ العصور في محاولة للوقوف على ماهيتها، وتفسير ظواهرها، وبيان العلاقة التي تجمع بينهما، وكيف للّغة أن تحقق التواصل بين البشر مع الكم الهائل من المعارف والأفكار والمشاعر والأحاسيس التي يحملونها وبخاصة اذا اعتبرنا اللّغة وسيلة لنقلها، فأنت حينما تعبّر عمّا يجيش بخاطرك تستخدم اللّغة، وحينما تريد أن تطلع غيرك عمّا يختلج ذهنك تستخدم اللّغة،وحتى حينما تفكر فأنت تستخدم اللّغة.

المضمون الرئيسي للكتاب هو اللّغة وطبيعتها مع التركيز على نظرية التوقيف والمواضعة، حيث تناول المؤلّف مفهوم كل من الثنائية والإزدواجية، مع تحديد رأي بعض علماء اللّغة والفلاسفة والأصوليين حول نشأتها معتمدا في ذلك على مجموعة من النصوص العقلية والنقلية متمثلة في آيات قرآنية وأقوال لبعض العلماء، وبعد ذلك تطرق إلى مفهوم كل من اللّفظ والمعنى عند كل من الأصوليين واللّغويين مع توضيح العلاقة بين هذين المصطلحين، وفي الأخير نجده تحدث عن ظاهرة التناسب الطبيعي القائم بين الألفاظ ومعانيها واختلاف الآراء حول هذه القضية، فمنهم من يراها تقوم على أساس محاكاة الإنسان لأصوات الطبيعة، ومنهم من يقرّ بأنّ التناسب بين الألفاظ ومدلولاتها يقوم على أساس التواضع والاصطلاح، أو على أساس التوقيف، ومنهم من ينفي المذهبين ويصرّح بأنّه مهما كان ذلك التناسب بين الألفاظ و معانيها إلّا أنّها توقيف وإلهام من الله سبحانه وتعالى.

وفي ثنايا هذه المواضيع عالج المؤلّف كثير من القضايا الفرعية المتفرقة في الكتاب هنا وهناك.

كما استعان المؤلّف بمخطط اعتمده القائلين بتوقيف اللّغة وكذلك مجموعة من النصوص النقلية والمتمثلة في آيات قرآنية مأخوذة من سور القرآن الكريم.

النص الأول: من سورة البقرة ص 39

النص الثالث: من سورة يوسف ص 40

ومجموعه من النصوص العقلية المتمثلة في أقوال شعرية منها:

النص الأول: قول لابن فارس ص 42

النص الخامس: لابن جني ص 44.

كما اعتمد على كتابة النظريات والمصطلحات والمفاهيم والأعلام ،وحتى المصادر والمراجع باللّغة العربية والأجنبية، وهي مميزات تحسب لهذا الكتاب.

وقد استخرجنا من خلال دراستنا لكتاب اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة للدكتور عبد القادر عبد الجليل جملة من القضايا تمثلت في:

- الثنائية اللّغوية بدل الإزدواجية اللّغوية.

-أصل اللّغة في الحضارات القديمة.

-أصل اللّغة الإنسانية عند أهل التوقيف.

-أصل اللّغة الإنسانية عند أهل المواضعة.

-أصول ألفاظ العربية.

-اللّفظ والمعنى.

-الثنائية وعلاقتها بالمناسبة الطبيعية.

وقد استوقفتنا في هذا مجموعة من المصطلحات العلمية المفتاحية أهمها:

التوقيف، اللّغة، المواضعة، الثنائية، الإزدواجية، المناسبة الطبيعية، اللّفظ والمعنى.

إنّ كتاب اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة هو كتاب كرتوني ورقي، يتميز بحضور عدّة ألوان بارزة فيه بحيث نجد أعلى واجهة الكتاب باللّون الأخضر تحمل عنوان الكتاب" اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة" بلون أبيض وخط متوسط الحجم، وفي أسفل واجهة الكتاب غلب اللون البرتقالي مكتوب فيه كلمة اللّغة على ثلاثة أشكال أولها باللّون البرتقالي، والثاني باللّون الشفاف، أمّا اللّفظة الثالثة فهي باللّون الأخضر الدّاكن بخط عريض كبير، كما نجد بين هذه العناوين إسم صاحب الكتاب الأستاذ الدكتور عبد القادر عبد الجليل باللّون الأصفر بخط رقيق،

وفي الجهة اليمنى لواجهة الكتاب شريط باللّون البرتقالي، أمّا في الأسفل شريط صغير باللّون الأخضر الدّاكن،كما نجد في أدنى واجهة كتاب الموقع الإلكتروني للكتاب المعنى بـ www.darsafa.net.

أمّا بالنسبة للواجهة الخلفية للكتاب فقد غلب عليه اللّون البرتقالي، ففي الأعلى نجد عنوان الكتاب مكتوب باللّون الأسود، وفي وسطه نجد لفظة اللّغة باللّون الأخضر الدّاكن، وفي نفس المكان أعيدت كتابة هذه اللّفظة باللّونين البرتقالي والشفاف، وفي أسفل خلفية الكتاب نجد شريط باللّون الأخضر الداكن يحمل دار النشر، البلد، الهاتف، البريد الإلكتروني .

وإنّ من أهم ما دلت عليه هذه الألوان اهتمام الكاتب باللّغة العربية وتبين منزلتها لإرتباطها بالقرآن الكريم وهذا ما يميزها عن بقية اللّغات .

مما جاء في مقدمة الناشر عبد القادر عبد الجليل أنّ الهدف من تأليف كتابه هو إدراك الأبعاد النظرية لنشأة اللّغة الإنسانية محدّدا إطارها المكاني المتمثل في محاضرات القياس في رحاب الجامعة الهاشمية، بحيث شملت مقدمتها أهم ما احتواها الكتاب من مضامين وهي كالتالي، استهلال استدلالي، استهلال استقرائي، وبعدها أراء في المسار المصري القديم ثم المسار اليوناني والمسار العبري والأرامي، مرورا باستقراء بعض النصوص النقلية والعقلية ليصل بعدها لمداخلات النصوص ثمّ الدّلالة الصوتية في مسار التناسب الطبيعي، ليضيف بعدها عنوان جذور ومواقف ،وفي ختام مقدمته قد أشار إلى أنّ بداية اللّغة الإنسانية توقيفية، وتبقى سرّ مجهول يحتضن البحث والتنقيب.

يندرج هذا الكتاب إلى حقل الدراسات اللّغوية، عرف البحث فيه منذ العصور القديمة، حيث سبقه مجموعة من العلماء والباحثين للتعليم في هذا الموضوع ذوي الاختصاص فيه.

ومن الدواعي التي جعلت المؤلف يكتب هذا الكتاب محاولة منه للتوسّع والتتبّع والوقوف على أبعاد وجود النظرية العربية في نشأة اللّغة الإنسانية، إضافة إلى جمع مادة علمية للقارئ تمكّنه من معرفة طبيعة اللّغة وأبعادها، حيث اتسم هذا الجمع بالتزامه بالأمانة العلمية وصحة المعلومات المأخوذة سواء كانت بأسلوب مباشر أو غير مباشر، في ما يظهر أنّ المعلومات التي وظفها

الكاتب في كتابه كانت عبارة عن جمع ورصف للمعلومات مع وجود نوع من التقليد، وأنّ أغلب المصادر التي استقى منها مادته العلمية متخصصة في حقل الدراسات اللّغوية.

الفصل الأول

تلخيص الكتاب

لقد حاولنا في هذا الفصل تلخيص ما جاء في كتاب عبد القادر عبد الجليل المعنون باللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة وفق ما تضمنه هذا الكتاب .

استهلال استدلالي :

إنّ اللّغة عامة ظاهرة اجتماعية بين مختلف أفراد المجتمع باعتبارها وسيلة التفاهم والتعارف بينهم .أمّا اللّغة العربية خاصة فهي من بين اللّغات الساميات بامتيازها عن بقية اللّغات الأخرى ويتجلى ذلك من خلال تعدد أنظمتها وتنوعها من ما هو صوتي وصرفي ونحوي ودلالي، حيث يرى الدكتور "عبد القادر عبد الجليل " في هذا المقام، أنّ اللّغة العربية تتميز بمجموعة من المستويات .

المستوى الصوتي : إذ قال فيه أنّه يتألّف من صوامت وصوائت.

المستوى الصرفي : الذي يمتاز بالنسبة له بالتنوع في صيغ الأفعال والأسماء والصفات وفيما يخص **المستوى التركيبي** (**النحوي**): فهو يختص بالقواعد المحكمة في التركيب ، وهذا ما لاحظناه في قوله : «يأتلف نظام العربية الصوتي والصرفي وبناؤه التركيبي من الصوامت والصوائت في أصولها والتنوع في صيغ الأفعال والأسماء والصفات ، في كل متناسق ، وإ حكام قواعدي دقيق .»[1]

وممّا يبدو لنا من خلال دراستنا عبر المسار الجامعي حول موضوع مستويات اللّغة ، أنّ النظام الصوتي هو ذلك النظام الذي لا يتعارض فيه صوت مع صوت آخر ، وتكمن أهميته في القراءات القرآنية ، أمّا النظام الصرفي هو الذي لا تتعارض فيه صيغة مع صيغة أخرى إذ به يتم معرفة أصول الكلمات من الزيادات التي طرأت عليها ، وكذلك الجانب النّحوي وهو الذي لا تتعارض فيه قاعدة مع قاعدة أخرى ، بحيث تكمن أهميته في مساعدتنا على النطق الفصيح السليم للجملة ، وقد استشهد الكاتب على ما قاله المستشرق الألماني "يوهان فك " إلى القول : «لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنّه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة

[1] – عبد القادر عبد الجليل ، اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة ، دار صفاء ط1، عمان الأردن ،سنة 1432 هـ/2011م، ص10

العربية بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية .»[1] فالتراث العربي حسب رأي الكاتب يزخر بمكانة مرموقة مكّنته من الوقوف في وجه كل من أراد المساس باللّغة العربية والنيل منها لأنّها تمتاز بإكرام إلهي ، وذلك لأنّ القرآن الكريم منزّل باللّغة العربية .

قد واصل المؤلّف التأكيد على امتيازية اللّغة بمكوناتها اللّسانية وطرائقها في الآداء ، وبما امتاز به العرب في ألسنتهم ، باعتبارها لغة القرآن الكريم ، فبالعربية أنزل اللّه كتابه على نبيّه الأمين صلّى اللّه عليه وسلّم ، وتكفّل له بالحفظ والصون ، كما استشهد الكاتب عبد القادر عبد الجليل بمجموعة من الآيات التي تبيّن و تؤكد على ارتباط العربية بنزول القرآن الكريم، مما يجعل اللّغة العربية مميّزة ، وتمثلت هذه الآيات في الآتي:

1. قوله تعالى في الآية 9 من سورة الحجر : { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** }
2. قوله تعالى في سورة النحل الآية 103 : { **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** }
3. قوله تعالى في الآية 37 من سورة الرعد : { **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا** }
4. بالإضافة إلى توظيف قوله تعالى في سورة الأحقاف الآية 12 : **{ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا }**
5. وكذلك قوله في الآية 3 من سورة فصلت :**{ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }**

وكل هذه الآيات إنّما تدّل على نزول القرآن الكريم باللّغة العربية ، وهذا دليل على أهميتها وعلى أنّ نشأة اللّغة الإنسانية ارتبطت بالقرآن الكريم .[2]

كما نجد عبد القادر عبد الجليل تحدث عن الجزيرة العربية حيث رأى أنّ هذه الأخيرة حظيت بلّغة القرآن الكريم، وقد استند في ذلك على ماورد في "النشر في القراءات العشر" "

[1] – عبد القادر عبد الجليل ، اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة ، مرجع سابق، ص10.

[2] – المرجع نفسه، ص11.

لابن الجزري" بقوله : "كانت العرب الذي نزل القرآن بلغتهم ، لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى ، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها ، فلو كلّفوا العدول عن لغتهم ، والانتقال عن ألسنتهم ، لكان من التكليف بما لا يستطاع".

والمعنى المقصود من هذا القول أنّ العرب عرفت أنواعا من اللّغات وتعدد في الألسن ، وهذا ماصعّب عليهم الانتقال من لغة إلى أخرى ، كما استشهد بقول "أبو منصور الثعالبي" في كتابه "فقه اللّغة وسرّ العربية "بمقولته : "العربية خير اللّغات ، والألسنة ، والقبائل على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ، ومفتاح التفقه في الدين " .[1]

والمقصود من هذا القول أنّ العربية هي من أحسن اللّغات وأفضلها فبها يستطيع الانسان معرفة أصول دينه، كما تعد وسيلة من وسائل العلم ، وهذا ما جعلها تمتاز عن بقية اللّغات الأخرى .

أضاف المؤلّف أنّ لهذه اللّغة الكريمة توجه كبير من طرف علماء العربية ، وذلك لاستدراك جوانبها الصوتية ، والصرفية، والنحوية ، والدلالية[2] بغية الحفاظ على اللّغة المقدسة من الوقوع في الخطأ واللّحن ، وفهم ماجاء في كتاب الله عزّ وجل حيث وقف في ذلك على قول "الفارابي" في مرجعه" ديوان الأدب" قائلا "القرآن كلام الله ، ولا سبيل إلى علمه وادراك معانيه إلاّ بالتبحر في علم هذه اللّغة "[3]

ونستخلص من هذا القول أنّ القرآن هو ماجاء به رسولنا الكريم محمد علية أزكى الصلاة والسلام المنزّل من عند الله عزّ وجل أنّه لا يمكن فهم معانيه إلاّ من خلال التعمق في خباياه. وهذا ما نقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله:((لايقرئ القرآن إلاّ عالم اللّغة)) [4]

[1]–عبد القادر عبد الجليل ، اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة، المرجع سابق،11

[2] – ينظر، عبد القادر عبد الجليل، اللغة بين ثنائية التوقيف و المواضعة، المرجع السابق، ص11.

[3] – ينظر: ، المرجع نفسه، 11

[4]– المرجع نفسه، ص.12

ومن خلال قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتضح لنا أنّ معرفة اللّغة العربية تقابلها معرفة القرآن الكريم ، ومن هذا المنبر أخذت العربية مكانتها المرموقة مما ازداد في تطورها ونموّها ، وهي تنتقل من فكر صغير ودائرة ضيقة الى فكر واسع يحمله جهد وكبير ، وهذا ما أكتشف أثناء رحلة العرب الذين كانوا يأخذون كل كلام يسمعونه عن الأعراب .

وقد ذكر الكاتب مجموعة من العلماء اللّغويين أمثال : أبو الأسود الدؤلي ، والخليل ،وابن الجني ، وعيسى بن عمر ، وعبد الله بن اسحاق وغيرهم حيث أكد بأنّهم تركوا بصمة هائلة في مختلف زوايا العربية ، فكانت لهم أراء مختلفة حول اللّغة العربية التي ألهمها الله لهم بالتوقيف وهذا ما استلزم أن تحظى بكثير من الاهتمام ، كما كانت جهودهم متمثلة في تبيّن بعض الظواهر اللّغوية ، والذي كان متواجد في العربية وفق معارف وأفكار واسعة ، إضافة الى ذلك كانوا يعملون على توضيح ماكان فيه من لبس وغموض ، ضمن منهج علمي مخطط له يستدعي عمليتي الإستقراء والإستنباط ، مركزين في ذلك على على تبيّن وتوضيح ما ورد في القرآن الكريم ، وهذا ما تناوله عبد القادر عبد الجليل في كتابه اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة .[1]

وفي نفس السياق نجد هذا الأخير يستدل بقول "السيوطي":"إنّ علم اللّغة من الدين ، لأنّه من فروض الكفايات ، وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة " ونستنتج من هذا القول أنّ علم اللّغة يمدنا بمزايا جمّة ، ومن بينها معرفة ما جاء في كتاب الله عزّ وجل والسنة النبوية .

صرّح عبد القادر عبد الجليل أنّ مصادر ومنابع الدرس اللّغوي تعود بالدرجة الأولى إلى علماء العربية ، وهذا لمدى فطانتهم وجدارتهم المحققة التي ظهرت توظيف وترجيح المنطق الاستدلالي وهم يرصدون طبيعة مناهج دراساتهم ، وهذا ما ورد في المنصف" لابن الجني"معرفة الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة الحالة المنتقلة " .[2]

[1]- ينظر: عبد القادرعبد الجليل، المرجع السابق، ص.12

[2]- المرجع نفسه، ص.13

ففي هذا الصدد نجد العالم اللّغوي ابن الجني يتحدث عن علم التصريف حيث يكمن مرجعه إلى إكتشاف أحرف الكلمة الغير المتغيرة ، أمّا علم النحو مرجعه إكتشاف الأحوال المتنقلة ، وهذا حسب رأي الكاتب .

وفي نفس المقام نجد المؤلّف مازال يستشهد بأقوال العلماء اللّغويين في قول "المزهر" بقوله:"الفرق بين علم النحو ، وبين علم اللّغة ، أنّ علم النحو موضوعه أمور كلية ، وموضوع علم اللّغة أشياء جزئية "و يقصد بهذا القول أنّ هناك إختلاف واضح بين علم النّحو وعلم اللّغة ، فعلم النّحو يدرس كل الظواهر اللّغوية عكس علم اللّغة .

أقرّ الكاتب أنّ الجهود الجبارة في توضيح وتبيين أبعاد اللّغة العربية مصدره الأساسي القرآن الكريم ،ويظهر ذلك من خلال جمال نسجه ولغته الباهرة الّتي لا مثيل لها في اللّغات.[1]

ففي قول الثعالبي الّذي نجده هو الآخر من الأقوال الّتي إستشهد به المؤلّف بقوله "من أحبّ اللّه ، أحبّ رسول المصطفى (صلى اللّه عليه وسلم)،ومن أحبّ الرسول ،أحبّ العرب ، ومن أحبّ العرب ، أحبّ اللّغة العربية الّتي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم ، ومن أحبّ العربية عني بها وثابر عليها ، وصرف همته إليها ." .[2]

والمعنى من هذا القول أنّ اللّغة العربية لها مكانة راقية في الأمة الإسلامية لأنّها حظيت بلغة القرآن الكريم المنزّل على سيد الخلق محمد (صلى اللّه عليه وسلم)، كما صرّح المؤلف أنّ العربية هي من أفضل اللّغات وأبرزها ، وهذا باعتبارها لغة الكتاب المقدّس ، وطريق الفصحاء والبلغاء ، وهدف النحاة لاكتشاف دقة وترتيب نظم القرآن الكريم ، ومن هذا المنبر قام عبد القادر عبد الجليل بإدراج سلسلة لغوية وفق نظريتي التوقيف والمواضعة ، وقد أقر أنّ هذا الموضوع واسع وشيق مستندا في ذلك بقول "ابن الجني" أنّ حدها : "أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم " وقد تمثلت هذه السلسلة اللّغوية في :

1. اللّغة بين نظريتي التوقيف والمواضعة .

[1] – ينظر: عبد القادر عبد الجليل،مرجع نفسه،ص.13

[2] – المرجع نفسه،ص.14

2. البنية اللّغوية في اللّهجة الباهلية .
3. الدّلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي .
4. الإختلافات اللّغوية .
5. المدارس المعجمية .[1]

[1]- المرجع السابق، ص 15 -ص16

استهلال استقرائي:

في هذا المقام تحدّث عبد القادر عبد الجليل عن الاستهلال الاستقرائي في نشأة اللّغة ،إذ قال فيه أنّ موضوع نشأة اللّغة وأصلها من المواضيع الّتي عرفت اختلافات و أبعاد وتأملات فكرية أو علمية كانت بين علماء اللّغة ،وهو موضوع مثله مثل أي بحث لغوي يحتاج إلى التأمّل والتدقيق والتفسير والتحليل ،غير أنّ كل المجهودات والدراسات التي بحثت في هذا المجال من قبل هؤلاء العلماء ،إلّا أنّهم لم يتمكنوا من الوصول إلى نتيجة واحدة شاملة بينهم ،سواء أكانوا من عرب أم غرب ، أو كانوا قدماء أم محدثين .

وقد أبان الكاتب أعمال علماؤنا عبر مرّ التاريخ ، إذ عرفت بقصور نتائج مسائل هذا البحث ،باعتبارها تندرج ضمن ما يحتاج التأمل والتخمين ،واستشهد على ما قاله بمجموعة من الأقوال من العلماء القدماء والمحدثين أمثال :أبو حامد الغزالي في مؤلّفه "المستصفى من علم الأصول" يقول :"لا يبقى إلّا رجم الظنّ في أمر لا يرتبط به تعبد عملي " ، ونستخلص من قوله أنّه لا يمكن الحكم أو إتخاذ الأسباب والنتائج والتخمينات إذا لم يكن مرتبط بالجانب العملي الفعلي الّذي يتم من خلاله التطبيق .

وأضاف قول "ابن السبكي في المزهر" الذي قال فيه :"الصحيح عندي أنّ لا فائدة لهذه المسألة ".والمعنى المقصود من قوله أنّه لا وجود لجدوى من البحث في هذا الموضوع ، أي لا يمكن تحقيق فائدة عامة أو خاصة اتجاه مسألة صعبة الوصول إلى نتيجة واحدة قطعية .[1]

كما استشهد بقول ابن جني الّذي يقول فيه :أنّه" موضوع محوج إلى فضل تأمل" أي أنّه موضوع يشترط التأمل وعمق التفكير وجدية الدراسة والبحث فيه بشكل عميق مرتكز .

هذا فيما يخص العلماء القدامى ، وممّا لا شك فيه أنّ الكاتب عندما تطرق إلى ما جاء به العلماء القدامى ،بطبيعة الحال كان له أن يتحدث عن ما قام به العلماء المحدثين ،من خلال محاولتهم دراسة ومعرفة نشأة اللّغة الإنسانية ، إذ صرّح بأنّ آرائهم تباينت حول صعوبة إتباع هذا

[1]- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق، ص 17

المسلك اللّغوي ،حيث اعتبره بعضهم نوع من الميتافيزيقا ، أي أنّه مرتبط بالخيال ، أمّا البعض الآخر قد أقروا بأنّه موضوع اختصاصه علم الأجناس وعلم الوراثة ،بالإضافة إلى أنّه لا يمكن فيه التوصل إلى قرار نهائي قطعي ، وذلك لاتصاله بالعقل البشري بمختلف أبحاث العلماء سواء المحدثين أو القدماء كانت متصلة ومشتقة من التصور الإسلامي داخل الإطار الشرعي للدين الإسلامي .

كما مثّل المؤلّف على الأهمية والقيمة الفضلة لهذا الموضوع من خلال إهتمام أساتذة علم اللّغة في أمريكا وعبر العديد من دول العالم ،ممّا اعتبره دليل على قيمة موضوع أصل اللّغة الإنسانية وأهميتها ،وذلك تجلى في ذكره لأحد المحدثين المهتمين بهذا الموضوع ألا وهو الأستاذ "ج رفيزي" بجامعة "امستردام" الّذي ألّف كتابا كاملا سمّاه "ما قبل تاريخ اللّغة وأصلها "Origine et Perthistoire du Language"

حيث طرح فيه إختلاف الوجهات والقراءات حول نشأة اللّغة الإنسانية وأصلها ، غير أنّه لم يخرج برأي قطعي .[1]

عرف موضوع نشأة اللّغة اهتمام كبير منذ القديم من قبل العديد من الفلاسفة وأهل الدين واللّغة ،وهذا ما أدى بالكاتب إلى استحضار مجموعة من التساؤلات والإشكالات الّتي ارتابت أذهان هؤلاء اللّغويون والّتي من بينها :

من أين جاء الإنسان بالقدرة على الكلام ؟

أي لغة كانت أوّل اللّغات ؟

هل اللّغات ترجع إلى أصل واحد أو مجموعة من الأصول ؟

موضوع التسمية ووضع الألفاظ وإطلاقها على مسمياتها ومعانيها ؟كيف حدثت ... ؟وكيف تمّت على أيّ أساس أختير هذا اللّفظ بعينه لذلك المعنى الّذي يفيده ؟

[1] ينظر:عبد القادر عبد الجليل، المرجع نفسه ،ص18

معتبرا في نفس الوقت أنّ هذه التساؤلات اشكالات هامة وصعبة الإجابة عنها باعتبارها تحتاج إلى عمق التفكير والتطلّع ، فالعلم عنده ضروب من الموجودات الحسية والمعنوية ، بحيث أنّه يشمل مختلف الأشياء والأمور المادية والمعنوية ، عيّن لكل واحدة من هاته الأشياء مسمّى واضح ويدل على هذا الشيء ، حيث قدّم الكاتب أمثلة في هذا الشأن مجموعة المسميات كل يوم من أيام السنة ، فمثّل بمثال :سيارة ،جامعة ، مكتبة ،...إلخ ، غير أنّه استعاب على مستعملي هذه المصطلحات توظيفها دون محاولة فهمها ومعرفة مدركاتها .[1]

وإنّ من أبرز علوم اللّغة الّتي تقوم على دراسة اللّغة ومعرفة أصولها ذكر الكاتب العلم الذّي تميز واختص باللّغة عامة وأصلها خاصة، إنّه علم الدلالة باعتباره يدرس العلاقة بين اللّفظ ومدلوله والعلة في ارتباطهما ،ويمكن تلخيص ما قاله الكاتب عن علاقة اللّفظ بالمعنى عند كل من الأصوليين واللّغويين عبر الخطاطة التالية :

أصل اللغات

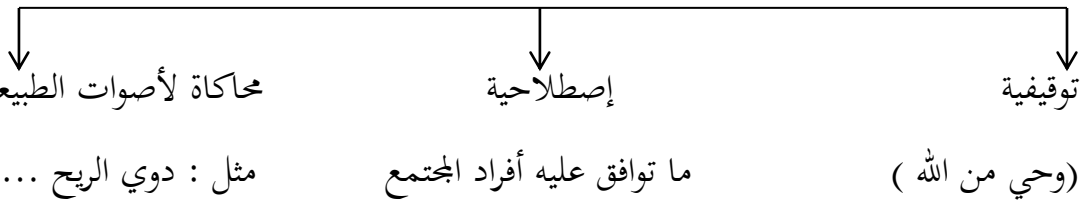

غير أنّ هنا الكاتب عرض ما ذكره من علم الدلالة وفق أسئلة تتعلق بما استخلصناه في هذه الخطاطة . وقد استدلّ عبد القادر عبد الجليل على ما قاله بما أورده "الجاحظ" في مؤلّفه رسائل "الجاحظ" ، ويمكن استخلاص ما قاله في أنّه لا يمكن عدم الربط بين اللّفظ والمعنى أو الإسم والمسمّى ، واعتبره لغوا لا فائدة تحصل منه ،مشبّها الأسماء أوالدّال بالأبدان ،أما المعاني

[1] – ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع سابق، ص 19

أو المدلولات فاصطلح عليها بالأرواح ،وفي عموم مقولته يؤكد الجاحظ على أنّه لا تحدث الفائدة والحسن في الكلام دون معرفة معنى هذا الكلام .[1]

وبعد الاستشهاد الّذي استدل به المؤلف طرح إشكالين في صلب موضوع كتابه قائلا :

لم الثنائية بدلا من الإزدواجية ،في لائحة العنوان ؟

ما التوقيف ، و المواضعة ، والاصطلاح ؟

ثمّ استعرض أهم ما احتواه فهرس كتابه الّذي بين أيدينا مباشرة بعد طرحه للإشكالين ، وأهم ما استعرضه يتوضح في النقاط التالية :رؤية معجمية، وأخرى دلالية ، ثمّ استقراء النّص النقلي ، واستقراء النّص العقلي ، سياق الدلالة ، الإستدلال الوظيفي –طبيعة اللّغة ..واجتماعيتها ،حضور الداعي ...

وبعد كل ما قدّمه الكاتب إستفرغ إلى طرح مقدمة حول موضوع الكتاب قائلا فيها : أنّه لا بد من معرفة كيفية إنتقاء الألفاظ في استعمالاتنا بدقة ، وذلك كلّه بهدف توضيح المقال و إعطاء دلالة تمكّن المتلقي من إدراك ما يقوله المتكلم ، حيث أكد على أهمية معرفة استخدام المصطلحات وفق ما يوضح دلالة هذا المصطلح ، وهذا ما اهتمت به الدراسات اللّغوية منذ القديم ، ولمعرفة هذه العلاقات وكيفية استعمال المصطلحات ،شرع الكاتب في الإجابة على آخر سؤالين طرحهما .

إنّ المدخل الذي قدّمه الدكتور عبد القادر عبد الجليل في كتابه اللّغة بين ثنائية التوقيف و المواضعة يعدّ تمهيد أساسي ومميّز لموضوع أصل اللّغات الإنسانية ، وبعد هذا التمهيد الّذي عرضه في عنوانين في بداية مؤلّفه ،شرع في نهاية العنوان الثاني من كتابه إلى طرح مجموعة مفاهيم تخص مصطلحات هامة شملها عنوان الكتاب، حيث تمثلت في مفهوم كل من الثنائية

[1] – ينظر: مرجع نفسه، ص 20

والإزدواجية ، وفيه حاول البرهنة والتبرير على انتقاءه للفظة الثنائية بدلا عن الإزدواجية ،وكذلك مفهوم كل من التوقيف والمواضعة .[1]

وفيما يلي نعرض أهم ما جاء به في هذه المصطلحات ومفاهيمها :

1. **الثنائية** : صرّح الكاتب على أنّها مصطلح استعمله بعض الباحثين في دراساتهم اللّغوية في مجال البحث في نشأة اللّغة الإنسانية ، ونعني بها اجتماع وجهين أو أمرين في شيء واحد ،أو لفظتين لأمر واحد ، بحيث يميزها إختلاف سائد بين آراء الباحثين حوله، ومما يمكننا إضافته في هذا المقام من خلال ما اكتسبناه في مسارنا الجامعي : أنّ الثنائية هي مصطلح علمي يستعمل في التعبير على شيئان أو لغتان مختلفتان عن بعضهما ، غير أنّهما تبلغان منزلة وقيمة مميزة ،أو هي وجود لغتين في مجتمع واحد تتمتع كل واحدة منها بخصائص ومميزات خاصة تنفرد بها عن غيرها .

قد انتقى المؤلّف لفظة الثنائية للتفصيل في نظريتي نشوء اللّغة وفقا للمعايير اللّسانية المعروفة كما أستعمل هذا المصطلح عند القائلين بأنّ أصول اللّغة العربية أصول ثنائية ، هذا ما جعل بالكاتب يستدل بأحد أنصار هذا المذهب وهو "الأب مرمرجي الدومنيكي" وآخرون ، غير أنّه لم يطرح أفكارهم ولم يتناولها بالشرح والتحليل ، وعند ذكر كلمة ثنائي نجد كذلك مصطلحات أخرى على نفس المنوال ، ذكرها المؤلّف في كتابه وهي : أحادي ، ثلاثي ، رباعي ، خماسي ، سداسي .[2]

أمّا في مصطلح الأحادية فهم بذلك يقدّمون الصورة الأحادية للصوت والقيمة التعبيرية له هذا ما جعل الكاتب يطرح رأي الشيخ "عبد اللّه العلايلي" حين قال :"إنّ بداية إستعمال الإنسان للغة كانت "أحادية "في صورة أصوات وحروف منفصلة ذات دلالات قديمة ،ثمّ تطورت هذه المقاطع الأحادية إلى ثنائية وثلاثية ".ويعني بذلك أنّ نشأة اللّغة كانت أحادية المقاطع ،أي أنّ كل صوت ينفرد بدلالات ذاتية تخصه، ثمّ تطورت إلى مقاطع ثنائية وثلاثية . في حين أبان

[1] – ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع سابق،ص21.

[2] – ينظر:عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق، ص22

أنّه عند تحدثهم عن الجذور يقولون :" جذر ثلاثي ، أي يتكون من ثلاثة أحرف ، ورباعي يتكون من أربعة أحرف وهكذا ..."ويقصد بذلك أنّه عندما نصطلح كلمة جذر ثلاثي نقصد بها لفظ يتركب من ثلاثة حروف ، وكذلك هو الحال مع الجذر الرباعي ...

وعليه فإنّ الكاتب يرى الحالة التكافئية تتمثل في هذه الحروف أو الأصوات من حيث تشكيلها.

استعمل مصطلح الثنائية من قبل العديد من علماء العربية الأوائل ، إذ أشار الدكتور عبد القادر عبد الجليل في كتابه المتناول من قبلنا بعض هؤلاء العلماء الّذين استخدموا هذا المصطلح أمثال الخليل بن أحمد الفراهدي ، الذي يبتدأ العين بالثنائي ، وابن دريد في مؤلّفه الجمهرة ،والأزهري في تهذيب اللّغة ، والقالي في البارع ، ابن سيده في كتابه المحكم ، في حين أضاف الكاتب ما قاله أصحاب الدرس الصوتي : من مقطع ثنائي مفتوح ، اذ أنّهم يقصدون بذلك كل صوت منفرد مشكّل بالكسر والضم والفتح ، وذلك ما رمز له ب (س ع) ويمكننا أن نوضح في هذا المجال بمثالا :

حرف "و " يتكون من صامت و صائت ، أي صامت وحركته التي تميّزه ، يرمز له ب (س ع) أو (ص ح) بحيث أنّ هذه الرموز تدل على نفس الشيء ،إذ أنّ "س " و" ص " يرمزان إلى الصوت الصامت ، و "ع" و"ح" حركة هذا الصوت ،وكل مقطع صوتي يحتوي صوت وحركة .[1]

ولا يفوتنا هنا القول بأنّ الباحثين اللّغويين قد وظّفو هذه الرموز فبعضهم إستعملوا شاكلة (س ع) والبعض الآخر إستعملوا شاكلة (ص ح) وكلها تدور في فلك واحد.

وقد أضاف أصحاب نظرية الثنائية في الأصول عند تفسيرهم مذهبهم وفق هذا المصطلح وهو ما يتجلى في شرحهم لكلمة نهر حسب ما صرّح به المؤلّف : التي تأتي بمعنى الزجر والنهي

[1] – ينظر: عبد القادر عبد الجليل،مرجع سابق، ص23

والجريان ، السيولة ، الضوء ، إذ أنّها تتكون من مقطعين أولها " نه " بمعنى الزجر والنهي والجريان وثانيهما "هر" يقصد بها السيولة حين جريان الماء .

كما استدلّ الكاتب على أهمية دلالة مصطلح الثنائية من خلال ما أضافه أصحاب نظرية الثنائية في الأصول الذين يؤكدون على ضرورة استعمال مصطلح الثنائية وذلك تجلى من خلال ما وظّفه الدكتور "توفيق شاهين" في مؤلّفه أصول العربية بين الثنائية والثلاثية في قوله : "إنّ اللّغة في نشأتها الأولى هي ثنائية ... بناءا على قانون التطور والارتقاء " هذا ما جعل الكاتب آثر على أن يستعمل مصطلح الثنائية للتدليل على موقفين الأول "التوقيف " و الثاني " المواضعة " في معرفة أصول اللّغة الإنسانية .[1]

2 –الإزدواجية : في هذه النقطة الكاتب لم يتطرق إلى شرح وتعريف هذا المصطلح ،إنّما حاول التدليل على إستغنائه عن هذا المصطلح وتفضيله مصطلح الثنائية بدلا منها ، حيث ردّ إمكانية إستخدام لفظة الإزدواجية من قبل بعض المحدثين في تكلمهم عن اللّغة العربية بين الفصحة والعامية ، غبر أنّه بيّن مفهوم مصطلح الإزدواجية من خلال برهنته على فكرته السابقة ، وقد كان موقف الدكتور عبد القادر عبد الجليل واضحا في كتابه اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة ، إذ أنّه خالف فكر إستخدام مصطلح الإزدواجية بدل الثنائية ، مبديا رأيه في قوله :"إنّي أرى أنّ الإزدواجية لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين كالعربية والإنجليزية لا أن نطلقه ونحن نتحدث عن الفصحة والعامية لأنّهما فصيلتان من لغة واحدة ، والفرق بينهما فرق فرعي لا جذري " ونفهم من قوله أنّ لفظة الإزدواجية يمكننا أن نستعملها بين لغتين مختلفتين تنفرد كل واحدة منها بأسسها وقواعدها كاللّغتين العربية والإنجليزية ، غير أنّه لا يمكن إستخدامها عند التحدث عن الفصحة والعامية في اللّغة باعتبارهما وجهان لعملة واحدة أي معيارين للّغة واحدة ، بحيث أنّ الفرق بين اللّغتين العربية والإنجليزية فرق جذري واختلاف يمكن أن نقول عنه فرق تام ، لذلك نستعمل مصطلح الإزدواجية لاختصاص كل واحدة لوحدها ، بحيث أنّهما يعبران عن شيئان أو

[1] – ينظر: عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق، ص 24.

رقمان مختلفان ، في حين لا بد أن نستعمل مصطلح الثنائية للدلالة على وجهان لشيء واحد ، فموضوع التوقيف والمواضعة يتعلقان بوجه واحد وهو نشأة اللّغة. في هذا المقام يميل الدكتور "إميل بديع يعقوب" في مؤلّفه فقه اللّغة إلى أن يسميها "الثنائية اللغوية ". ويمكننا في هذا الموقف أن ندرج مفهوم يمكن من خلاله أن نوضح أكثر مفهوم الإزدواجية من خلال مكتسباتنا القبلية فمصطلح الإزدواجية مصطلح علمي يستعمل في التعبير ودراسة شيئان أو موقفان مختلفان يشتركان في سمة أصلية خاصة ، أي دراسة لغة واحدة في أصل واحد باختلاف توجهات آراء أصحابها ، أو هي اجتماع مستويين من اللّغة الأول فصيح والآخر عامّي ،بحيث أنّهما يتماشيان جنبا إلى جنب .

وبما أنّ الدكتور عبد القادر عبد الجليل رفض إستخدام لفظة الإزدواجية في دراسة نشأة اللّغة الإنسانية ، هذا ما دعا به إلى تقديم بديل عن إستخدام مصطلح الإزدواجية ، حيث أنّه رأى من الصواب إستعمال مصطلح مستوى عند التكلم عن الفصحى والعامية ، فنقول : المستوى الفصيح ، المستوى العامي ، المستوى المتوسط في لغة المثقفين ، كما نقول المستوى المنفرد الذي صرّح الكاتب لأنّه يطلق على ما تفرد به الشعراء من أمثال ابن أحمر الباهلي .[1]

3-التوقيف : يعد مصطلح التوقيف من أهم المصطلحات الّتي تعلقت بمعرفة وتحديد أصل اللّغة الإنسانية ، حيث أدّت بفرقة معينة لتبني نظرية خاصة مميزة سميت بنظرية التوقيف ،ونظرا لأهمية هذا سعى الدكتور عبد القادر عبد الجليل إلى إعطاء مفهوم واضح يشرح ويفسر هذا المصطلح ، إذ أورد تعريفا لهذا المصطلح ذكره اللّغوي "ابن منظور" فيّ مؤلّفه "لسان العرب " قال فيه : "وقف ، والوقوف خلاف الجلوس ، وقف بالمكان ووقوفا فهو واقف ، والجميع وقف ووقوف ، يقال : وقف الحديث بينه وعن أبي زيد : وقفته الحديث توقيفا ، وبيّنه تبيينا ، وهما واحد ، ويقال : وقفته على الكلمة توقيفا ، والتوقيف : البياض مع السواد ". ويمكن تلخيص ما أورده في مفهومه اللّغوي أنّ مصطلح التوقيف يعني الوقف، الوقوف ضد الجلوس ، والتوقيف هو

[1] - ينظر:عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق، ص24.

البياض مع السواد . أمّا دلاليا فقد عرّفه الكاتب في قوله هو : ما يتوقف فيه على ما جاء عن طريق النبوة والوحي ، ونقصد به التوقف والإيمان بما جاء عن طريق الإلهام من اللّه عز وجل . وبوسعنا في هذا المقام إعطاء مفهوم لهذا المصطلح من خلال إطلاعنا على بعض المؤلفات اللّغوية في هذا الموضوع مصطلح التوقيف هو مصطلح علمي محدد وهام ، أسست على منواله نظرية التوقيف الّتي تقر بأنّ الأصل في نشأة اللّغة إلهام ربّاني أنزله اللّه على البشرية جمعاء ، فعلّمهم النطق ووضع مسميات الأشياء .

وقد استعمل هذا الأخير عند القائليين بنظرية " المحافظة " من أهل السنّة في القرن الرابع للهجرة ، أمثال : أبو حسن الأشعري ، وأبو الحسين أحمد بن فارس ، حيث أنّ أصحاب هذه النظرية أو ما يسمّو بأهل التوقيف ، قد استدلّو بأصحاب " النص النقلي" إذ نجد أنّهم إستعملو مصطلح التوقيف ، كما إستعملو كذلك رديفه وهو "الوحي "، في حين كل من هاذين المصطلحين يدلان على معنى واحد وهو الارتباط بالنبوة والوحي من اللّه عز وجل ، وهذا ما يخص الحديث عن نظريات نشأة اللّغة الإنسانية .[1]

4-المواضعة: إنّ مصطلح المواضعة أو ما يعرف بالإصطلاح لا يقل أهمّية عن مصطلح التوقيف المذكور سابقا ، حيث كان له أنصاره جعل منهم يبنون رأي وفريق خاص أطلقو عليه فريق المواضعة ، وذلك في دراستهم اللّغوية لمعرفة أصل اللّغة عامة منذ ظهور الإنسان ، حيث وضّح الكاتب في هذا الشأن إستخدام هذا المصطلح من قبل مفكرو المعتزلة والمدارس الإسلامية الّتي تعنى بالعقل ، إضافة إلى مصطلح "الإلهام" الذّي وظّفه "ابن جني" رديفا للمواضعة في مؤلّفه "الخصائص" .

مثلما أخذ المؤلّف مفهوم التوقيف من ما حددّه "ابن منظور"في كتابه "لسان العرب" ، أخذ كذلك مفهوم المواضعة من هذا الأخير ، حيث قال في تعريفه له لغويا : «الوضع ضد الرفع وضعه ، يضعه وضعا وموضوعا .والمواضعة : المناضرة والمراهنة ، أن تواضع صاحبك أمرا تناظره

[1] – ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع سابق، ص.25.

فيه ، وبينهم وضاع : أي مراهنة . » ونفهم من قوله أنّ مصطلح المواضعة في لغته هو المناظرة والوضع وهو عكس الرفع . أمّا عن المواضعة دلالة فقد عرّفها في قوله :هي " الإتفاق على أن يصار إلى شيء وإجراء تلك مجرى العرف " وهنا الكاتب أوضح مفهوم المواضعة دلاليا من خلال ما توافق عليه أفراد مجتمع معيّن ، حسب عاداتهم وتقاليدهم المعروفة عندهم .

وما يمكننا توظيفه في هذا المجال أنّ مصطلح المواضعة مصطلح علمي خاص يقصد به الوضع والإصطلاح والمناضرة ، تأسست على منواله نظرية لغوية سميت بنظرية الإصطلاح والمواضعة والّتي تقر بأنّ الأصل في نشأة اللّغة الإنسانية يعود إلى إستحداث الإنسان وتواضعه لمسميات الأشياء ، وكذلك نتيجة الإتفاق بين الأفراد وفق تواصلهم داخل المجتمع ، بحيث يتم الإتفاق والتواضع على وضع هذا اللّفظ إزّاء ذلك المعنى .

هذا عن المواضعة ومفاهيمها ، لكنّ الكاتب قد وظّف مفهوم رديفها كذلك وفصّل فيها الحديث، فالإصطلاح عنده هو مصطلح مشتق من الجذر الثلاثي (صلح)والصلاح عكس الفساد ،فمصطلح المواضعة في دلالته الجوهرية يدل على المعنى المواجه والمضاد للفساد والانحلال . وبعدما شهدته اللّفظة من إشتقاقات وتغيّرات اتخذت لفظة الإصطلاح على وزن إفتعال ، والّتي تدل على تدخل الإنسان ومهارته العقلية في الفعل وكيفية إستعماله .

للتفصيل في مفهوم الإصطلاح أورد الكاتب عبد القادر عبد الجليل في كتابه اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة ما جاء في أثر الخصوصية العربية في المعرفة الإسلامية عن الجرجاني في مؤلّفه «التعريفات »أنّ الإصطلاح هو : "عبارة عن إتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول " أو" اتفاق طائفة على وضع اللّفظ بإزاء المعنى "

وهذا المفهوم يعتبر من أوضح المفاهيم والتعريفات الّتي نجدها في المؤلّفات الخاصة بهذا الموضوع ، فهو مفهوم شامل لمعرفة معنى الإصطلاح ،حيث نجده متناول من طرف الكثير من

الباحثين اللّغويين العرب بهذا الشكل ، ونستخلص منه أنّ مصطلح الإصطلاح يدل على ما توافق عليه أصحاب المجتمع أو جماعة ما باختيار ذلك اللّفظ لهذا المعنى بالتحديد . [1]

[1]- ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع سابق، ص 26-27

المسار المصري القديم :

تناول الكاتب عبد القادر عبد الجليل في هذا المسار الحضارة المصرية ، وهي واحدة من الحضارات التي لا مثيل لها لتفرّدها و أصالتها ، كما تطرق الكاتب إلى أصل نشأة اللّغة في الحضارة المصرية ،متحدثا عن المؤرخ اليوناني "هيرودت " الذي شهد على حضارتها القديمة ،كما صرح بأنّ أحد الفراعنة الذي يدعى "أبستميك "حاول التدليل على أنّ نشأة اللّغة الإنسانية ارتبطت بالحضارة المصرية ، ومثّل على ذلك بتجربته المقامة على طفلين بعزلهما عن المجتع مع ضرورة توفير كل متطلبات عيشهم ،شرط أن لايسمعا صوتا بشريا، وأبقاهما على هذا الحال لمدة زمنية معينة ، وبعد مرور هذه الفترة الزمنية إكتمل نضجهما فأطلق سراحهما ، فكان أوّل ما نطقا به هي كلمة " Becose" التي تعني الخبز في اللّغة الفريجية، وتعد هذه الأخيرة إحدى اللّغات اليونانية القديمة ، كما أضاف أنّه لاحظ أنّ هذه الرواية قد تجردت من الشفافية والموضوعية ،بمعنى أنّ الطفلين لم يتكلمو غير اللّغة التي إتفقو عليها في حضاراتهم ،وليس اللّغة المصرية أو اللّغة اليونانية لانعزالهما التام عن مخاطبة الناس.وزيادة على هذا فقد أضاف المؤلّف حضارات أخرى كان لها دور كبير في دراسة وتوضيح نشأة اللّغة وارتباطها،وعليه تحدث كذلك عن الحضارة اليونانية .[1]

[1]- ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع سابق، ص31.

المسار اليوناني:

لقد اشتد التنافس بين الحضارتين المصرية واليونانية حول تحديد أصل اللّغة الإنسانية وارتباطها بأحد الحضارات .

الحضارة اليونانية القديمة هي حضارة فترة غابرة من التاريخ اليوناني ، إستمرت من العصور المظلمة اليونانية إلى نهاية العصر الكلاسكي ، فقد ربط الكاتب في كتابه نشأة اللّغة بالفلسفة والمنطق ، واستشهد على هذا الربط من خلال التنازعات التي عرفت بين الفلاسفة والذي تكلم عنها الفيلسوف "أفلاطون" و "أرسطو" ، حيث قال بأنّ : "أفلاطون" ينظر إلى اللّغة على أنّها ظاهرة طبيعية فتحدّثه كان من دون قصد ، ولا يمكن أن يكون للإنسان دخل في وجودها ، أمّا "أرسطو" فيرى بأنّ اللّغة ظاهرة تتعلق بالمجتمع وإصطلاحاته اللّغوية . [1]

وبناءا على الجدل القائم بين الفلاسفة في مسألة نشأة اللّغة عرض الكاتب مدرستين حول هذه لأخيرة :

1) **المدرسة الوضعية الشذوذية** :بزعامة الفيلسوف "كراتيس" ،فيرى أنّ اللّغة الإنسانية تمتاز بطابع فطري عرفتها البشرية منذ الوجود ، باعتبارها إلهام من اللّه عز وجل ، إضافة إلى ذكره أحد علماؤها الفيلسوف "هيراقليطس"، وكل هؤلاء الفلاسفة آرائهم تتبع رأي أفلاطون .

2) **المدرسة القياسية أو المدرسة النظرية** :بزعامة "أستراخوس "، التي ترى أنّ نشأة اللّغة إصطلاحية أي تواضع عليها أفراد المجتمع المتمثلة في أصوات وألفاظ وتراكيب .

[1] – ينظر:عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق، ص 32 –ص33.

المسار العبري والآرامي :

استعرض مجموعة نصوص في كتاب العهد القديم الذي يتمثل في التوراة ، وهو من بين الكتب الدينية السابقة للقرآن الكريم ، وقد جاء في النّص الأول من الاصحاح الحادي عشر في سفر التكوين :" نقرأ في قصة بابل أنّ الأرض كانت قبل طوفان نوح عليه السلام :" كلها لسانا واحدا ولغة واحدة "، وإنّهم في ارتفاعهم شرقا وجدوا بقعة في ارش (شنعار)، وسكنوا هناك وبنوا مع أبنيتهم برجا عاليا،وقالوا :نصنع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه الأرض " ويتضح لنا من خلال شرح الكاتب أنّ اللّغة كانت من قبل طوفان نوح عليه السلام لغة موحدة بين البشر، كما بيّن من خلال بنائهم للبرج الشامخ الذي تطاولا في البنيان أنّه أغضب الرب عليهم ،وهذا سبب الذي أدى إلى تعدد الألسنة واختلافها بعدما كانت لغة واحدة .

كما تناول الدكتور عبد القادر عبد الجليل رأي آخر يطرحه الدكتور "حلمي خليل" ومفاد قوله أنّ علماء اللّغة السامية يبرهنون أنّ اسم(بابل)معناه باب الرّب في اللّغة العبرية .وقد جاء في النص الثاني "في الإصحاح الثاني من سفر التكوين": "وجبل الرّب الإله من الأرض كلّ حيونات البرية ، وكل طيور السماء ، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها ، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حيّة فهو إسمها،فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيونات البرية ".

نستخلص من هذا النّص أنّ العبرانيون إعتبرو لغتهم من أقدم اللّغات وتجلى ذلك في النّص الّذي أورده الكاتب من خلال الأسماء الّتي أطلقها آدم عليه السلام على البهائم وطيور السماء وجميع الحيوانات البرية ، وقد مثّل لما قاله الكاتب "إبراهيم السامرائي" الّذي نشر مقالة تحت عنوان "ليبنز "في برلين أكد فيه أنّ اللّغات لم تستقى من العبرانية باعتبارها دعوة باطلة لا جدوى منها، أمّا السريانية الآرامية فقد ساعدت وساندت لغتنا الكريمة بتزويدها بألفاظ متعددة ساهمت في نموها واتساعها ، وهذا ما شهدت عليه معاجم اللّغة وكتب فقه اللّغة والدراسات السامية المقارنة غير أنّ كل هذه المسارات لم تثبّت أقوالهم.[1]

[1]- ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع سابق، ص 34-ص 35.

استقراء النصوص النقلية ومناقشتها:

انطلق الكاتب بمجموعة من النصوص في هذا المقام مأخوذة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف متمثلة في الأتي:

النص الأول : قوله تعالى في سورة البقرة الآية 31 -32:**{ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }**، وقال أيضا**{ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ }الآية 32 -33.**[1]

تبيّن الآية الكريمة الأولى بيان لفضل آدم عليه السلام حيث علّمه اللّه أسماء الأشياء كلها ، ثم عرض مسمياتها على الملائكة قائلا لهم : أخبروني بأسماء هؤلاء الموجودات ، إن كنت صادقين في أنكم أولى بلاستخلاف في الأرض منهم .

أمّا الآية الثانية توضح أنّ الملائكة قالت : ننزهك ياربّنا ليس لنا علم إلا ما علمتنا إياه ، انّك أنت وحدك العليم بشؤون خلقك ،الحكيم في تدبيرك ، كما أمر اللّه آدم أن يخبرهم بأسماء هذه الأشياء التي عجزوا عن معرفتها ، فلمّا أخبرهم آدم عليه السلام بها ، قال الله للملائكة قد أخبرتكم أنّي أعلم ماخفي عنكم في السموات والأرض [2].

تطرّق الكاتب في تفسيره للآية الكريمة ليس من باب شرح الألفاظ ، وإنّما لبيان دلالتها الصرفية ، ومن بين الألفاظ لفظ "علّم " الذي ورد بصيغة زمن الماضي ، ثم الأسماء التي جاءت حسب ما اقتضته الدلالة السياقية ، أمّا كلمة عرضهم فقد وردت بصيغة زمن الماضي مرتبطة بالضمير "هم" الذي يدل على جماعة العقلاء وهذا حسب ما أورده الكاتب .

وقد ركّز الكاتب على هذه التراكيب الثلاثة فوظفها وفق درجات مخصوصة حيث رتّبها وفق الشكل الآتي "علّم ، الأسماء ، عرضهم".

---

[1]- سورة البقرة، الآية 31-32-33.

[2]-تفسير ابن الكثير

التركيب الأول :" علّم":

فسّر المؤلّف هذا اللّفظ وفق اتجاهين أساسين لنشأة اللّغة ، فالاتجاه الأول هو الاتجاه التوقيفي ، وظّفت كلمة "علّم " المرتبطة بزمن الماضي غير أنّها أختفلت الآراء بين علماء هذا الإتجاه في الدلالة التلقينية للفعل من حيث سمة الشمولية أو الكلية ، الجزئية أو البعضية ، رغم إتفاقهم على التوقيف ، وقد إستدل الكاتب بمجموعة من علماء الإتجاه التوقيفي وعرض آرائهم في ذلك ، ومن بين هؤلاء : " ابن فارس، وعبد الرحمان بن يزيد " الذين يرون أنّ الفعل يحمل في دلالته السياقية سمة البعضية أي أنّه قصد في تعليمه لذريته أجمعين الجزء ،أي تعليم الأسماء فقط . أمّا الآخرون "ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وابن الكثير "، فيرون أنّ الفعل إتصف بسمة الكلية ، أي أنّه قصد في تعليمه لذريتها أجمعين الشمول بمعنى كل شيء .

أمّا الإتجاه الثاني : وهو الإتجاه الإصطلاحي فقد وظّف لفظة "علّم" باعتبارها فعل ماضي وفق السمة الدلالة التمكّنية ، بمعنى أنّه يدل على القدرة والتمكن .[1]

ليصل الكاتب في الأخير إلى خلاصة مفادها أنّ إستقراء النصوص النقلية يتم وفق أهل التوقيف بسمة دلالية تلقينية ، وعند أهل المواضعة بسمة دلالية تمكّنية .

التركيب الثاني " الأسماء" :

شرح الكاتب هذه اللفظة بأنّها: جمع للفظ مفرد "اسم" ويعني هذا أنّ للمعنى اسم يفسره .ولكن هذا لا يبرر أنّ إتضاح المعاني مرتبط بالألفاظ حسب ما تطرق إليه النحاة في تقسيمهم للكلمة ، فوردت هنا لفظة "الأسماء" بالجمع بعد الفعل" علّم" لتحمل صفة التخصيص .

لذلك فلفظة الأسماء التي جاءت في النص لها قوة إستدلالية ، وهذا ما أكد عليه أهل التوقيف باعتبار أنّ الدلالة السياقية تظهر من خلال قوة الفعل ،فوظفت لفظة " الأسماء " في الآية الكريمة لأنّها تحمل قوة دلالية واضحة .

[1]- ينظر: عبد القادر عبد الجليل،م رجع سابق، ص 47 -ص48.

إنّ تقسيم الكلام إلى(اسم ، فعل ، حرف) هو أمر طبيعي ، غير أنّ وصفه بالقوة والضعف إعتقاد عقلي منطقي ، وقد استشهد الكاتب بفكرة "ابن الجني" –وهو من رجال المعتزلة – وهم من الذين يقّرون بالإعتقاد العقلي ، فابن جني صرّح بأنّه لا يمكن الإستغناء عن الإسم في مقامات مختلفة .

وعليه تضمنت الآية الأسماء بالذكر لأنّها الأبلغ والأبرز ، فكل من الاسم و الفعل و الحرف له وظيفة محددة يؤديها داخل أي تركيب لغوي .

وممّا نعرفه من خلال دراستنا أنّ الإسم يدلّ على الثبات وعدم التغير ، أمّا الفعل فيدل على الحركة والتجدد ، وأمّا الحرف لا يدل على معنى إلّا مع غيره . [1]

واستنادا على ما سبق يمكن القول بأنّ ليس للاسم أهمية أكبر من الفعل والحرف ، ولا للفعل والحرف أهمية أكبر من الإسم ، فعدم توظيف الفعل والحرف في الجمل والتراكيب اللّغوية لا تنقص من قيمتها ، لأنّ ليس لها وظيفة تؤديها وهذا ما عالجه علم الأصوات الوظيفي الذي يقوم على دراسة وظيفة الأصوات ، وقد بدا للكاتب أنّ "ابن الجني" نظر إلى لفظة الأسماء من منظور مغلق أي خارج تركيبها اللّغوي .

التركيب الثالث "عرض +هم :

لفظ مركب من فعل ماضي + ضمير ، حيث وصل الكاتب بين الضمير "هم" والفعل " عرض " فالضمير المتصل هو كل ضمير لا يستقل في النطق والكتابة ويكون متصل بكلمة قبله ، وهذه الكلمة قد تكون اسما أو فعلا أو حرفا ، وقد استعمل هذا الضمير في رأي الكاتب للدلالة على جماعة من الناس ، ممّا أضاف للسياق جمالية في الترتيب وقوة في الدلالة ، أمّا من ناحية الأستدلال اللّغوي ، فالفعل يحتل الدرجة الثالثة ، والضمير المرتبة الرابعة وجمعهما يؤدي إلى اجتماع قوتين استدلاليتين .

[1] – ينظر: عبد القادر عبد الجليل،مرجع سابق، ص 48 –ص49.

إنّ أصحاب الإتجاه التوقيفي أكدوا على مبدأ التغليب عكس أصحاب المواضعة ، ويتضح ذلك من خلال تغليب العاقل على غير العاقل ،ويتبين ذلك من خلال النص النقلي الثاني في الضمير "هم". [1]

النص الثاني: قوله تعالى : **" وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. ".**[2]

نستخلص من الآية الكريمة أنّ اللّه تعالى خلق كل ما يدبّ على الأرض من ماء ، فالماء أصل خلقه ،فمن هذه الدواب منة يمشي زحفا على بطنه كالحيّات ونحوها ، ومنهم من يمشي على رجلين كالإنسان ، ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم ونحوها ، واللّه سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ، وهو القادر على كل شيء .[3]

النّص الثالث : قوله تعالى :**" مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ."**[4]

فالآية الكريمة تبيّن ما تعبدون من دون اللّه إلاّ أسماء لا معاني وراءها ، جعلتموها أنتم وآبائكم أربابا جهلا منكم وضلالا ، ما أنزل اللّه من حجة أو برهانا على صحتها ، ما الحكم الحق إلا للّه تعالى وحده ، لا شريك له ، ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك فلا يعلمون حقيقته .

فالكاتب في هذه الآية الكريمة ركّز على الفعل الماضي "سمّا" الذي يدل على وضع الإسم لشيء مخصوص ، وبيّن أنّ الفعل يتكون من ثلاثة أصوات صائتين وصامت التي لها قوة تقود إلى معرفة الدلالة السياقية وهذا ما نجده في الإستدلال ، أمّا إذا فسّر هذا اللفظ وفق دلالة تتابعية يمكن استخدام الإسم تبعا لغرض آخر . ويمكن إحتمال دلالتين من خلال توظيف هذا اللّفظ.

---

[1]- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق، ، ص 50 .

[2]- سورة النور ، الآية 45.

[3]-.تفسير ابن الكثير

[4]- سورة يوسف الآية 40.

الدلالة الأولى : وضع الأسماء (للآلهة) بتسميتها أصناما .

الدلالة الثانية : وضع الأسماء (للآلهة) لغرض العبادة ، فأصحاب الإتجاه التوقيفي إستعملوا لفظة "سمّى" حيث أطلقوها على الأصنام واعتبروها آلهة يعبدونها ، غير أنّ الفعل سمّى يأخذ دلالة أخرى حسب رأي التوقيف ، فإنّ هناك أسماء أوقفها اللّه وأعطاها إلهاما للبشرية من حيث أنّ الأسماء الّتي سمّوها منحطة وقاصرة .[1]

النّص الرابع : قوله تعالى :" **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ.**"[2] ، تبيّن الآية الكريمة هنا القدرة الربّانية في خلق السموات وارتفاعها بغير عمد ، وخلق الأرض مع إتساعها وامتدادها واختلاف اللغات وتباين الألوان ، لأنّ في هذا لعبرة لكل ذي علم وبصيرة .

يشير المؤلّف في النّص الرابع إلى الحجج الّتي استند إليها الفريق التوقيفي ، غير أنّها تخلو من القرينة المشارة في ذلك ، إلّا من خلال النظر إلى تراكيبها اللّغوية وكيفية بناءها ، ويظهر ذلك من المخطط التالي :

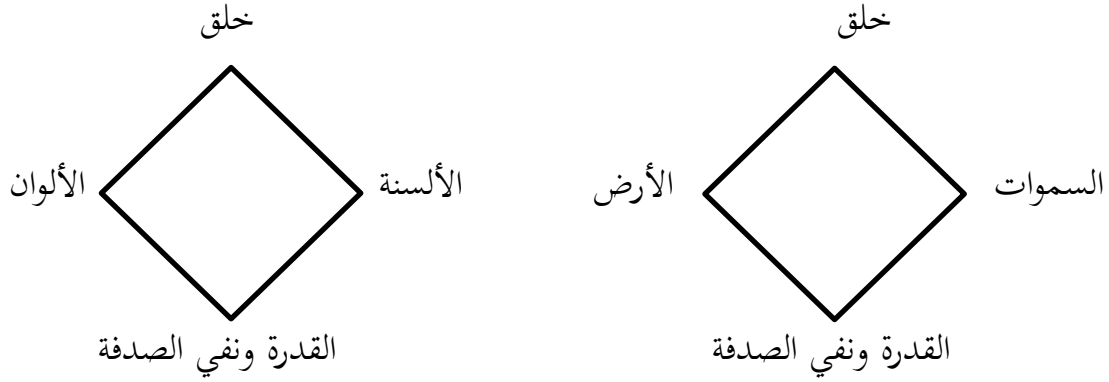

(فالدلالة التقابلية) (القدرة ونفي الصدفة) X 2

(خلق) = السموات + الأرض = الألسنة + الألوان[3]

[1]- ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع نفسه، ص 40 -ص51.

[2]- سورة الروم، الآية 22

[3]-المرجع سابق،ص52

يتبيّن لنا من خلال المخطط أنّ كل من كلمة : "السموات ، الأرض ، الألسنة ، الألوان" لها دلالة تقابلية ، فمثلا السموات تساويها الأرض ، والألسنة تساويها الألوان ، ويطلق على هذه التسمية "الدلالة التقابلية "أي القدرة ونفي الصدفة وكل من هاته الألفاظ: السموات ، الأرض ، الألسنة ، الألوان تجمع تحت لفظ واحد ألا وهو لفظ خلق . [1]

النّص الخامس:

أيضا قوله تعالى :" **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**. "[2]

فالآية الكريمة توضح أنّ وما أرسلنا من قبلك أيّها النبيّ إلّا بلغة قومه ، ليوضح لهم شريعة اللّه ، فيضل اللّه من يشاء عن الهدى ويهدي من يشاء إلى الحق ، وهو العزيز في ملكه الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها وفق حكمته . [3]

يواصل عبد القادر عبد الجليل حديثه عن النصوص المختارة في كتابه ، فالنص الخامس اعتبره من الأدلة الّتي إستعان بها الإتجاه التوقيفي ، في حين أنّ أهل المواضعة لم يتقبّلو فكرة أنّ اللّغات توقيفية ، وحجّتهم في ذلك أنّ اللّغة سابقة الظهور عن بعثة الأنبياء ، حيث استشهد المؤلّف بقول العالم اللّغوي "جلال الدين السيوطي" الّذي كان مؤيدا لأصحاب التوقيف في قوله : "من الجائز أنّ اللّه قد خلق في الأنبياء العلم الضروري بأنّ الألفاظ وضعت لكذا وكذا ، ومن الجائز أن يلهم اللّه الأنبياء أسماء تلك المسميات بحيث يعرفونها بعد بعثتهم من دون أن تتقدم عليهم من الناحية الزمانية ". [4]

[1] -- ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع نفسه، ص 40-ص 51

[2] - سورة ابراهيم، الآية 4.

[3] -تفسير ابن الكثير

[4] -عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق، ص 40-ص 53.

النّص السادس :

في حديث رواه البخاري ورواه مسلم عن طريق سعيد بن هشام عن قتادة عن أنس بن مالك عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قال : "**يجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربّنا فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو البشر ، خلقك اللّه بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلّمك أسماء كل شيء ... وذكر تمام الحديث** . "[1]

فالكاتب في الحديث النبوي الشريف لم يتطرق إلى شرحه وتفسيره رغم أنّه تطّرق إلى تفسير وشرح النصوص القرآنية السابقة ، وإنّما ماثله بالآية المأخوذة من سورة البقرة ، وكان التماثل من خلال الاستشهاد والوظيفة.

[1] – رواه البخاري ومسلم ،

استقراء النصوص العقلية ومناقشتها:

إنّ الكاتب في استقرائه للنصوص النقلية تطرق إلى ذكر وشرح آيات قرآنية كريمة وحديث نبوي شريف ، أمّا في النصوص العقلية فقد إعتمد على أقوال لعلماء لغويين وهي كالأتي:

النص الأول: قال "ابن فارس"إجماع العلماء على الإحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه ثم احتجاجهم بأشعارهم ولو كانت اللّغة مواضعة واصطلاحا لم يكن أولئك في الإحتجاج بهم أولى منّا في الإحتجاج لو اصطلحنا على لغة اليوم ".

تمثّل النص الأول في قول "ابن فارس" حيث قال فيه الكاتب أنّ العالم اللّغوي قد تطرق في نشأة اللّغة على إجماع العلماء بالاستدلال على أنّ اللّغة ترتبط بما يتفق به جماعة ما ، فابن فارس هنا استند في حجته على الفلسفة والمنطق ، وهذا ما برهنت عليه النصوص العقلية .

النص الثاني: تمثل أيضا في قول "ابن فارس" روي عن أبي الأسود الدؤلي (ت69) ، من أنّ رجلا كلّمه بكلام أنكره أبو الأسود واستغرب ، فقال له الرجل : يا أبا الأسود : إنّ هذه لغة لم تبلغك ، فقال أبو الأسود : ياابن أخي :أنه لاخير لك فيما لم يبلغني ".

فالكاتب هنا لم يكن حديثه مطولا ولم يشرحه ، إنّما ذهب إلى تعليق الذي قال به الدكتور "إبراهيم أنيس" بإعطاء صفة السذاجة في التفكير عند هؤلاء ، كما اعتبر المؤلّف هذا القول لا يمثّل برهانا واضحا على التوقيف .[1]

النصان الثالث والرابع :

النص الثالث: تمثّل في قول" السيوطي ":"وهو من قبيل الأدلّة الفلسفية ومفادها أنّ اللّغة لو كانت اصطلاحا لأحتيج للتخاطب به إلى اصطلاح آخر لغوي أو خطي ، يعود إليه الكلام ، ويلزم على هذا آمّا الدور أو التسلسل ، وهذا محال " .

النّص الرابع :تمثّل في قول ابن فارس :"إنّه لم يبلغ أهل عصره أنّ قوما من العرب في زمان يقارب زمانهم ذاك – أي زمان ابن فارس – قد اجتمعو على تسمية شيء من الأشياء

[1]- ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع نفسه، ص ص 42 54.

مصطلحين عليه ، بحيث يمكن الإستدلال بذلك على اصطلاح كان قبلهم . وقد كان الصحابة رضي اللّه عنهم وهم البلغاء الفصحاء – من النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به ، وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو احداث لفظة لم تتقدمهم . "

شرحهما الكاتب بقوله أنّهما يتعلقان بالجانب العقلي والمنطقي أكثر من الجانب اللّغوي الدلالي ، كما يعدّان من الحجج الّتي إستعان بها أصحاب التوقيف . "[1]

النّص الخامس :

يتمثّل في قول ابن جني :"كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا ،فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد منهما اسما أو لفظا إذا ذكر عرف به ما سماه ،ليمتاز عن غيره ، وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين "

يشير الكاتب في هذا المقام إلى ابراز معرفة وتمكّن ابن الجني في دراسته اللّغة وكيفية نشأتها ،فاهتمام "ابن الجني" يبيّن آنّ نشأة اللّغة وارتباطها بالتوقيف أو المواضعة لم يكن محصورا عليه فقط ،وإنّما شمل العديد من العلماء اللّغويين ، فمن خلال تعريفه للّغة بأنّها ظاهرة إجتماعية أي ربطها بأفراد المجتمع فهو بذلك يؤيد أصحاب المواضعة و الإصطلاح ،بالإضافة إلى أنّه عرّف اللّغة من خلال حدّها في قوله " أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم " .

فإنّ عبد القادر عبد الجليل تحدث عن الإتجاهين الأساسيين في نشأة اللّغة الإنسانية والذي يظهر في الإتجاه التوقيفي والإتجاه الاصطلاحي، ولكن في نفس الوقت لم يهمل الإتجاه الثالث، الذي يقوم على التوفيق بين التوقيف والمواضعة، فقد حاول الكاتب ذكر بعض الآراء الموافقين لهذا الإتجاه ونذكر من بينهم الأستاذ: أبو علي الفارسي، سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، أبو اسحاق الأسفراييني، إضافة إلى أبو الراغب الأصفهاني والجاحظ المعتزلي، واستند بقوله: أوّلهما لأبو اسحاق الأسفراييني الذي قال : "أنّ ابتداء اللغّة من الله والتتمة من الناس "

[1]- ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع نفسه، ص 43-ص 53.

ويمكننا شرح هذه المقولة بأنّ نشأة اللّغة أولها إلهام من الله عزّ وجلّ لعباده وثانيها يتعلق فيما تواضع عليه النص.

أمّا القول الثاني فهو "للجاحظ " من كتابه " الحيوان " الذي يقول فيه: " فإذا كان العرب يستقون كلاما من كلامهم، وأسماءا من أسمائهم، واللّغة عالية في أيديهم ممّن خلقهم ومكّنهم وألهمهم وعلّمهم، وكان ذلك منهم صوابا عند جميع النّاس، فالذي أعارهم هذه النعمة أحّق بالإشتقاق، وأوجب طاعة، وكما أنّ له أن يبتدأ الأسماء، فكذلك له أن يبتدئها ممّا أحبّ، فقد سمّى كتابه المنزّل "قرآنا " وهذا الإسم لم يكن حتى كان " .

يشير الكاتب في هذا القول إلى أنّ الجاحظ يعني به أنّ اللّغة في بدايتها كانت إلهام من الله عزّ وجلّ، ثم تبنّاها البشر، ويتضح ذلك من خلال ممارستهم على اللّغة من توليد وتحويل وإشتقاق وتركيب.[1]

[1]- ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع نفسه، ص 55 -56

مداخلات النصوص :

وبناءا على ما وظفه الكاتب عبد القادر عبد الجليل من نصوص قرآنية و أقوال العلماء اللّغويين ليصل في هذ الموضوع إلى تحليلها واستخراج جوانب قوتها مبرزا ذلك في مجموعة نقاط كالآتي :

1-إنّ أغلب ما استشهد به المعتزلة في تفسيرها للنصوص إعتمادها على المنطق العقلي مما جعلها أكثر توافقا مع توجهاتها الوظيفية وعليه فالمؤلّف هنا يقف على تغليب أحد زعماء هذا المذهب.

2- صرّح الكاتب في النقطة الثانية بقول الجبائي المعتزلي من كتابه المعتزلة والفكر الحر ،أنّه أثناء وصفه لأسماء الله الحسنى ربطها بشيئين أساسيين هما اللّغة والعقل , وهذا مايندرج تحت الاتجاه التواضعي .

3-طرح الكاتب في هذه النقطة إشكالا يدور حول كيفية الإتفاق على تسمية الأشياء دون أن تكون موحدة بين أفرادها .

4-إختصر هذه النقطة في أنّه لايمكن البرهنة على توقيفية اللّغة من خلال الإحتجاج فقط .

5-فصاحب الكتاب في هذه الأخيرة إستحضر بما يراه العالم اللّغوي "ابن فارس ", الذي يرى أنّ التنويع اللّغوي من منظور نظرية التوقيف ذات طابع ديني لا لغوي ,ويعني ذلك انّ القرآن الكريم هو المصدر الأساسي الذي ترتكز عليه اللّغة العربية .[1]

وهذا ما برهنت عليه الآيات الكريمة كقوله تعالى في ،**{ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }**[2]،فالآية الكريمة هنا توضح أنّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب , لعلّكم –أيها العرب –تعقلون معانيه وتفهمونها وتعلمون بهديه ,وقوله تعالى في :**{ هُذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ }**[3] .

[1]- ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع سابق ، ص 57

[2]- سورة يوسف، الآية .2

[3]- سورة النحل،الآية103

وفي نفس المقام نرى أنّ الكاتب عبد القادر عبد الجليل إستند إلى قول " ابن فارس" الذي تحدّث فيه عن نشأة اللّغة بأنّها أصل توقيفي , أي أنّ نشأة اللّغة إلهام من اللّه عزوجل , وقد كان ظهورها في فترة زمنية معينة ومحددة ,ولم يستمر على هذا النّحو , بل أكسب اللّه عزوجل آدم عليه السلام كل ما يلزمه ويحتاجه من علم الذي لم يكن في زمنه , بحيث نقل كل ما تعلّمه إلى الأنبياء حتى وصوله للنبيّ المصطفى عليه الصلاة والسلام , فاللّه عزوجل نزّل القرآن الكريم باللّغة العربية وخصّ به النبيّ محمد (صلى اللّه عليه وسلم) ,الذي لم يؤتى به أحد غيره .

6-يرى الكاتب أنّ ما يوحي إلى فكرة إصطلاحية اللّغة في نشأتها وضّحه "ابن فارس" فيما سمّاه " الأسباب الإسلامية " والتي كانت لها جوانب إجتماعية و منطقية في الدلالة وتطورها , وقد مثّل "ابن فارس" لذلك من خلال قوله: "أنّ العرب منذ الأزل كانو يتبعون موروث آباءهم في عاداتهم وتقاليدهم خاصة موروثهم اللّغوي ,غير أنّه بعد مجيء الإسلام تغيرت لغاتهم وأدخلت عليها زيادات وتحويلات ممّا يتوافق مع شرائعهم ودياناتهم , فتحدث الإسلام عن المؤمن والمسلم , و الكافر والمنافق , إظافة إلى الإسلام والمسلم ".ويمكن التأكيد على ماقاله الكاتب بما أورده من قوله تعالىّ {هذا لسان عربيّ مبين }ففي هذه الآية أخبرنا اللّه حسب التفاسير الموجودة أنّ المشركين كانوا يقولون : بأنّ النبيّ يتلقى القرآن من بشر من بني آدم كذبو في قولهم وادعائهم الكذب , فإنّ لسان الذي نسبو إليه تعليم النبي (صلى اللّه عليه وسلّم) أعجمي لا يفصح , و القرآن الكريم عربي غاية في الوضوح والبيان .[1]

7-مّا ذكره الكاتب عبد القادر عبد الجليل في تأكيد توقيفية اللّغة ما استشهد به "ابن فارس" من آيات قرآنية تدل على ذلك منها قوله تعالى:{ **وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** }[2] فمن تفسير الآية الكريمة يتضح أنّ اللّه أقسم بالقلم الذي يكتب به الملائكة والنّاس , وبما يكتبوا من الخير والنفع والعلوم , وقوله تعالى في الآية الرابعة من سورة الرحمن **{ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ }**[3]، والمقصود منها أنّ اللّه

[1]- ينظر،عبد القادر عبد الجليل،المرجع سابق،ص58

[2]- سورة القلم، الآية 01

[3]-سورة القلم، الأية 04.

خلق الإنسان وعلّمه البيان عمّا في نفسه تمييزا له عن غيره , ثم فسّر ماذكره في قوله : { وهل يكون أوّل البيان إلا علم الحروف التي يقع بها البيان }.

8-لايزال المؤلّف يستشهد بأقوال" ابن فارس" في مسألة التوقيف , وذلك من خلال إعتباره أنّ ماجاء في الإعراب والعروض توقيف من اللّه , وبالتالي كل ما يكون في الحروف يوازي ما في الإعراب والعروض , ومن المعروف عندنا أنّ "الخليل بن أحمد الفراهدي "أول من وضع وأسس لعلم العروض , وأنّ" أبو الأسود الدؤلي "و "وعلي بن أبي طالب" أول من أسس العربية , يقول "ابن فارس" في هذا الصدد :"أنّ هؤلاء العلماء أعادوا بناء المعرفة ولم يأتو بالجديد ".

9- وفي نفس السياق إنّ الكاتب حاول التفريق بين ما جاء عند أهل المواضعة وأهل التوقيف , فالمواضعة ليست إلهام من اللّه, لأنّها تستوجب الإشارة والرموز , وأمّا أهل التوقيف فأنّهم يرون أنّ اللّغة كانت من عند اللّه أي أنّها تقوم على مبدأ التلقين .

10-من خلال إستقراء النصوص النقلية ، تطرق "ابن فارس" في كتابه "مقاييس اللّغة "لتعريف لفظ سور من الناحية اللّغوية والّتي تعني العلو والإرتفاع ، كما أورد الكاتب تعريف آخر "لابن منظور" في "لسان العرب" : سور جمع سورة ، والّتي من معانيها الرفعة ، وسميت سور في القرآن الكريم للدلالة على آيات هذا القرآن ، فمجرد سماعنا كلمة سورة يتبادر إلى أذهاننا ما يتعلق بسور القرآن ، وفي نفس المجال قد إستوقف الكاتب قول" السيوطي "في كتابه "الأتقان في علوم القرآن "، الّذي قال فيه:" هي الطائفة المترجمة توقيفا ، أي المسمّات باسم خاص بتوقيف من النبي صلى اللّه عليه وسلّم ... وحدّها قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة ."[1]

ويعتبر الكاتب هذا النص دليلا على توقيفية اللّغة من خلال قوله توقيفا من النبيّ عليه الصلاة والسلام ، وهذا ما يراه حقيقة لا يمكن الإختلاف فيها ، كما إستعان بقول آخر" لأبو

[1]- ينظر،عبد القادر عبد الجليل،المرجع سابق،ص59

البقاء الكفوي "الّذي قال فيه : "فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال يرتفع القارئ منها إلى درجة أخرى ، ومنزل آخر إلى أن يستكمل القرآن ."[1]

فالقرآن الكريم يحتوي على صور ذات مكان راقي يرتقي به القارئ من درجة إلى درجة أعلى ، ومن منزلة أعلى إلى أن يختم القرآن .

[1]-عبد اللقادر عبدالجليل، المرجع سابق، ص60-ص61

الدلالة الصوتية:

بعدما تطرّق الكاتب إلى مواضيع تتمحور حول إستقراء النصوص العقلية والنقلية ، وما تحتويها من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة ، بالإضافة إلى أقوال العلماء ، إذ نجده قد تناولها بالشرح والتفصيل ، ثم حاول التعليق عنها في مجموعة من النقاط تبرز موقف كل من أهل التوقيف وأهل المواضعة في نشأة اللّغة وتبيين جذورها الأولى ، ليصل في كتابه هذا إلى موضوع آخر ألا وهو الدلالة الصوتية.

استعرض عبد القادر عبد الجليل في هذا السياق مجموعة من المصطلحات المتمثلة في: المناسبة الطبيعية ،التناسب الطبيعي، الدلالة الصوتية ، الدال والمدلول، جرس الألفاظ، القيمة التعبيرية ،العلاقة التلازمية ، العلاقة التقابلية .

فالكاتب يرى أنّه لابد من الإستدلال الدلالي لهذه المصطلحات حتى يتوضح الجانب الوظيفي للتراكيب اللّغوية ، وذلك من أجل الكشف عن الغموض واللبس ، فقد تطرق إلى تعريف كل مصطلح بما يناسبه من شرح وتفسير ، فعرّف المناسبة الطبيعية على أنّها التناسب الإنعكاسي للصورة الصوتية واللفظية أي تماثل اللفظ مع المعنى ، أمّا التناسب الطبيعي فيقصد به اللفظ المقابل للمناسبة الطبيعية بحيث يستعملونه علماء الإحصاء والرياضيات .[1]

إذ نجده قد عرف الدلالة الصوتية بأنّها ذلك التجانس الحاصل بين ما ينطق به من ألفاظ والمعنى المراد به ، كما نجده قد تناول مفهوم كل من الدال والمدلول ، ورأى أنّ الدال :هو عبارة عن جملة من الوحدات الصغيرة المشكلة للوحدة اللّغوية المستقلة ، أمّا المدلول فيعني به الصورة المشكلة في الذهن التي تعبّر عنها الوحدة اللّغوية ، أمّا جرس الألفاظ في نظره هو الرنّة الموسيقية المرافقة للكلمة أثناء وقوعها ويطلق عليها (حكاية الصوت).

كما أشار إلى تعريف القيمة التعبيرية بأنّها كمية ما يحمله اللّفظ من محتويات تحوي القدرة في التمثيل الإيجابي عبر خطوط التواصل ، كما ارتأ إلى تعريف العلاقة التلازمية على أنّها علاقة

[1] – ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع نفسه، ص65–ص66

تكاملية ويشترط فيها وجوب طرفين متكافئين في الرد والعطاء إضافة إلى مصطلح التقابلية فهو يقصد به التناسق السليم والصحيح والتقابل في لب الدّلالة.

وقد رأى الكاتب أنّ مسألة نشأة اللّغة شغلت إهتمام الكثير من اللّغويين ، ويظهر ذلك من خلال وضعهم لافتراضات نظرية أصرّت الكشف عن خبايا بدايتها ، وفي هذا السياق تعددت وتشابكت وكثرت النزاعات مما جعلها تظهر خلافات أخرى ، فكان لها حظ واسع من البحث و الإهتمام، فتوصلوا من خلال بحثهم هذا إلى قضية هامة ألا وهي العلاقة بين الدال والمدلول ، أو ما يطلق عليها الدلالة الصوتية .[1]

صرّح المؤلّف أنّ هذه القضية أخذت إهتماما بالغا من طرف العلماء اللّغويين ،حيث أنّ كل لفظ ننطق به تكون له صورة ذهنية مرتبطة بالواقع ، وظهر ذلك جليا من خلال تفسيرات العلماء المسلمين للألفاظ والمعاني الموجودة في الكتاب الكريم ، ويبدوا أنّ صاحب الكتاب يرى أنّ الأصوليين هم أولى من اهتموا بتفسير القرآن الكريم واستخراج الأحكام العملية من أدلّتها التفسيرية التفصيلية التي تبنى على الأدّلة والأحكام ، حيث رأى أنّ الأدلّة تتفرع إلى فرعين هما:

1/ **شرعية** : وهي الأسس التي تقوم عليها الشريعة الإسلامية .

2/**اللّغوية**: تستوجب العلم بما تحتويه دلالة الألفاظ ، وقد استند المؤلّف في تدعيم حجته على كتاب أصول الفقه لأبو زهرة فالأصوليين في نظره هدفهم توضيح وإجلاء وتفسير ما جاء في الكتاب والسنة .[2]

ومن هذا المنبر إهتموا باللّفظ والمعنى ، ويظهر أنّ الكاتب قد استشهد بقول الدكتور "السيد خليل "حين قال : "وهم أوّل من عني بمشكلة اللّفظ والمعنى تاريخيا ، وذلك لارتباطها بالحكم الذي يراد فهمه وتطبيقه ،إذ الحكم في عامة أمره لا يخاطب الوجدان ، وإنّما يخاطب العقل الذي هو مناط التفكير ودعامة الإقناع ووسيلة الفهم ".

[1] – ينظر:عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق ، ص66

[2] – ينظر: مرجع نفسه، ص 67

ويعني بذلك أنّ إهتمام الأصوليين باللّفظ والمعنى توضح بالحكم الذي يتجلى في الفهم والتطبيق باعتبار هذا الأخير يرتبط إرتباطا وثيقا بالعقل بعيدا كل البعد عن الأحاسيس والمشاعر ومهما بدا للكاتب بديهيا أنّ كل لفظ مرتبط بصورة ذهنية ومعنى معين عند أي سامع أو متكلم.

فقد إهتم الكثير من العلماء واللّغويين بمعرفة دلالات الألفاظ ،وقد خصص علماء الفقه والفلسفة والمنطق ، وعلم الإجتماع ، وعلم النفس ، والأجناس البشرية والسياسية ، وقد إختلفت الأراء بين العلماء اللّغويين في أسبقية اللّفظ عن المعنى في حين إتفق الأصوليين مع علماء اللّغة على أولوية المعنى عن اللّفظ ، وقد إستند الكاتب على هذه الفكرة من خلال قول" الشاطبي": "واللّفظ إنّما هو وسيلة إلى التحصيل المراد ،والمعنى هو المقصود " .

والمقصود من ذلك أنّ المعنى هو الصورة الموجودة في الذهن ، أمّا اللّفظ فهو عبارة عن ما ينطق به من ألفاظ ، وذلك ما أكد عليه ابن "القيم الجوزية "حين صّرح بقوله : " أنّه قول أئمة الفتوى من علماء الإسلام" ،استند الكاتب في هذا السياق إلى بعض العلماء اللّغويين وعلى رأسهم "ابن الجني" حين قال :"إنّ العرب كانت تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها ، فإنّ المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدرا في نفوسها " ،ويقصد "ابن الجني" بهذا القول أنّ العرب كانت تهتم باللّغة العربية، وبتراكيبها اللّفظية، وذلك بإصلاح كل ما يصيبها من تهميش لذلك اعتبرت المعاني من الأشياء المهمة التي تستند إليها النفوس البشرية .[1]

وقد أشار الكاتب أنّ الجذور الأولى للّفظ والمعنى كانت عند الأصوليين واللّغويين بالدرجة الأولى، حيث كثرت وجهات النظر حول أسبقية اللّفظ عن المعنى فيما يخص الخلق والإبداع والتكوين، ومن بين هؤلاء العلماء نجده قد ذكر "الغزالي" الّذي تبنى فكرة اللّفظ و المعنى بحيث يرى أنّ المعنى يأتي في المرتبة الأولى ثم اللّفظ في المرتبة الثانية ، وذلك بحكم أنّ المعاني تكسب الألفاظ.

[1]- عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق، ص 68

أمّا العالم اللّغوي "ستيفن أولمان" فهو يرى أنّ كل منهما يكمل الأخر ، وأنّ العلاقة بينهما علاقة تبادل وتكامل وهذا ما تضمنه كتاب دور الكلمة في اللّغة "لستيفن أولمان" ترجمة الدكتور "كمال بشر" .

ونجد الكاتب في هذا الصدد يطرح سؤالا يتناول فيه طبيعة العلاقة بين اللّفظ والمعنى الذي قاد فيه إلى طرح الكثير من التساؤلات المثيرة للجدل بين الأصوليين واللّغويين، حيث إستحضر كل طرف من هؤلاء أدلّته وبراهنه في أسبقية اللّفظ عن المعنى أم العكس، كما تطرقوا إلى بعض الأسئلة تصبّ في هذا الموضوع ومنها :

هل العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة طبيعية ؟بمعنى أنّ هناك صلة وتناسق بين الصوت والدلالة وذلك طبيعيا غير مخطط له ،أم أنّها علاقة تواضعية مصطنعة ؟ بمعنى أنّها علاقة مبنية على التخطيط والوضع والإصطناع من طرف جماعة ما..[1]

[1]- ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع نفسه، ص 69-70

جذور ومواقف:

بعدما تطرق الكاتب إلى موضوع الدّلالة الصوتية الذي تناول فيه قضايا كثيرة ومن أبرزها الدال والمدلول، اللّفظ والمعنى عند كل من الأصوليين واللّغويين، لينتقل إلى موضوعه الأخير في كتابه اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة الذي يتمثل في جذور ومواقف.

إستند الكاتب في هذا المقام بالعالم اللّغوي" الخليل بن أحمد الفراهيدي" الذي حاول الربط بين الكلمة ومدلولها التي أراد من خلالها الاستشهاد بالدلالة الصوتية، ومنه ما جاء في كتاب "تهذيب اللّغة"" للأزهري" في قوله:"صّر الجذب صريرا، وصرّ الباب يصر، وكل صوت يشبه ذلك فهو صرير إذا امتد"

كما أضاف المؤلّف ما قاله" ابن الجني" في كتابه" الخصائص"قال" الخليل": إنّهم توهموا في صوت الجندب إستطالة ومدا، فقالوا:صرّ، وذهب وتوهموا في صوت البازي تقطيعا، فقالوا : صرصر"[1] .

ومازال الكاتب يستشهد بأقوال العلماء اللّغويين من خلال مؤلّفاتهم فنجده يبيّن في كتاب "سيبويه" الصلة بين المبنى والمعنى أي أنّه كل لفظ يحمل دلالة معينة، حيث وضح أنّ كل مصدر جاء على وزن" فعلان" تشير ألفاظها عن دلالاتها مما تحدث حركة ونشاط، وذكر على سبيل المثال لفظة الغثيان، الغليان، فحين بدت للكاتب أنّ هذه الظاهرة لقيت إهتماما كبيرا واستحسانا عند العالم اللّغوي" ابن دريد" من خلال كتابه" الإشتقاق"، الذي حاول فيه أن يوضح سبب تسمية الأعلام والقبائل في الجزيرة العربية، وقد صرّح هذا الأخير بأمثلة عن ذلك فهذيل من الهذل، وهو الإضطراب، وقضاعة من إنقضع الرجل عن أهله إذا بعد عنهم" .[2]

كما أضاف عبد القادر عبد الجليل ماروي عن" أبي حاتم السجستاني عن العتبي" تفسيره لتسمية العرب لأبناءه في قوله "العرب سمّت أبنائها الأسماء المستشنعة، سمّت عبيدها بالأسماء المستحسنة؟ فقال: لأنّها سمّت أبنائها لأعدائها، وسمّت عبيدها لأنفسها ".

[1] – عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق الذكر، ص71

[2] – ينظر:عبد القادر عبد الجليل،مرجع نفسه، ص71

والمقصود بهذا القول أنّ العرب قد أعطت الأسماء القبيحة لأبنائها لأنّها ربطتها بأعدائها في حين سمّت عبيدها بأسماء حسنة لأنّها ربطتها بأنفسها، زيادة على ذلك وظف قول" ابن دريد" الذي أرجع في تسمية العرب لأبنائهم على ثلاثة أصناف أولّها راجع لتفاؤلهم على أعدائهم مثل غالب، ظالم، مقاتل، وثانيها ما لقبوا بالسباع، وذلك تخويفا لأعدائهم مثل ليث، أسد، ذئب، أمّا ثالثهما ما هو متعلق بما غلظ من الأرض وخشن ملمسه وموطنه مثل: حجر وصخر، [1] ما جعل العرب ينجزون لهذا المسار في تسميه أبنائهم لقوة الصلة بين اللّفظ ومدلوله، وقد صرّح الكاتب أنّ عالم الأصول" الصاحبي" زعيم نظريه التوفيق قد أشار إلى العلاقة القائمة بين اللّفظ ومدلوله كما صادف الكاتب قول "ابن الجني" المعتزلي الذي يؤكد فيه على إجتماعية اللّغة وطبيعتها في هذا الصدد طرح هذا الأخير أربعة مواضيع في كتاب الخصائص تمثلت في:

- تلاقي المعاني على إختلاف الأصول والمباني.
- الاشتقاق الأكبر.
- تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.
- إنتاج الألفاظ أشباه المعاني حيث حاول مناقشتها والبرهنة على صحة نظريته القائلة بالدلالة الصوتية[2]، ومثّل عن ذلك بإبراز التغيرات التي تطرأ على الجذر الثلاثي (ق+و+ل) الذي يفيد معنى واحد وهو الخفة والحركة على الرغم من التغيرات التي يمكن أن تطرأ على هذا الجذر والتي مثّلها فيمايلي :

ق+(2+3)قول- الأصل الأول

(3+2)قلو- الأصل الثاني

و2+(3+1)ولق- الأصل الثالث

(1+3)وقل- الأصل الرابع

ل3+(1+2)لقو -الأصل الخامس

[1]- عبد القادر عبد الجليل، مرجع نفسه، ص72

[2]- ينظر: مرجع نفسه، ص73.

(2+1)لوق- الأصل السادس.[1]

فالكاتب قد بيّن أنّ" ابن الجني" شرح هذه الأصول وفق ما يناسبها فالأصل الأول" قول" تدل على أنّ الفم واللّسان يخفّان له ،أمّا الأصل الثاني" قلو" هو تسمية لحمار الوحش، وذلك لخفته وسرعته، والأصل الثالث "ولق" أي إذا أسرع ، والأصل الرابع" وقل "،ويقصد به الوعل لخّفته في الحركة، والأصل الخامس "لقو" العقاب لخفته وسرعة طيرانه، أمّا الأصل السادس" لوق" إذ خدم وخفّ في حركته، كما أضاف أن تعاقب الأرصاد نتيجة لتعاقب المعاني بحيث أنّ تناسب و تداخل الأصوات يستلزم ويستوجب تداخل الألفاظ وامتزاجها مع بعضها البعض.

كما نرى أنّ المؤلّف لا يزال يؤكد على هذه النظرية من خلال ما وظفه عن ما جاء في المحتسب: الذي يقول بأنّ الثنائي (ج+ب) عند إقترانه بحرف ثالث يقود إلى معنى واحد ألا وهو إجتماع الأجزاء و تراجعها، وقد أكد على هذا بمجموعة من الأمثلة منها: جبر العظم، أي وصلت ما تفرّق من أجزائه وعليه وحسب الأمثلة السابقة فإنّ تقارب الحروف وتماسكها جعل لها نفس المخارج[2].

أمّا فيما يخص امساس الألفاظ أشباه المعاني راجع إلى تجانس المعاني مع بعضها وتقاربها وهذا نتيجة لتماثلها مع مخارج الحروف

في حين أنّه رأى أنّ الفونيمات ليست هي الأساس الذي به يحدد معنى الكلمة، وإنّما يعود ذلك إلى الحركات فنقول مثلا الذال بالكسر للدابة عكس الصعوبة ، والذل بالضم للإنسان وهو عكس العز، ولذلك خصّص الضم للإنسان لقوته وصلابته في حين إختص الحيوان بالكسر لضعفه وهزله.

وقد لاحظنا أنّ الكاتب مازال يستدرج أفكار "ابن الجني" في نظريته من خلاله ما قاله "الشريف الرّضي" عندما قارن بين طائر المعروف(بالصّرد) وبينما يطلق عليه(واق) إذ قال بأنّ "الواق بكسر القاف يعني الصّرد، أي أنّهم إستقوا اسمه نسبة لصوته، ثم حاول الكاتب شرح

[1]- عبد القادر عبد الجليل، مرجع نفسه، ص73-74

[2]- مرجع المرجع نفسه، ص75-76

وإراد الأفكار التي تبني المعتزلة عليها دراستها ومناهجها، وهذا الأخير يسمى كذلك الإتجاه العقلي، الذي إهتم بظاهرة التناسب بين المسميات الأشياء ومعانيها،حيث آمن وتبنّى أحد زعماء أهل المعتزلة من القرن الثالث للهجرة، وهو عباد بن سليمان الصّيمري صاحب المرتبة السابقة من المعتزلة، ولكي يتوضح ذلك للقارئ عرض عبد القادر عبد الجليل أبعاد هذا المعتزلي من خلال ما استدرجه عن السّيوطي في قوله: "نقل أهل أصول الفقه عن" عباد بن سليمان الصّيمري" من المعتزلة، أنّه ذهب إلى أنّ بين اللّفظ ومدلوله مناسبة طبيعية".

ونستنتج من خلال قول السّيوطي أنّ "سليمان الصّيمري" أكبر الذي يعتبر من رجال المعتزلة بأنّه يقرّ بظاهرة التناسب الطبيعي بين الألفاظ ومدلولاتها، ولخصها" ابن الجني" بقوله: " وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللّغات إنّما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح ،وحنين الرعد، وخرير الماء، وغير ذلك، ثم ولدت اللّغات عن ذلك فيما بعد.

أمّا بالنسبة لقول" ابن الجني" فنلاحظ أنّه يقرّ بالتناسب الطبيعي بين الألفاظ ومدلولاتها ويقيموها على أساس محاكاة الإنسان لأصوات الطبيعية.

ثم عقّب على ذلك في كتابه "الخصائص" بقوله "وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبّل " كما وظف الكاتب حجة "عبّاد" التي تقوم على المنطق الصرف بقوله "لولا الدلالة الذاتية لكان وضع اللّفظ من الألفاظ، بإزاء معنى من المعاني، ترجيحا بلا مرجح".[1] فالسيوطي هنا في كتابه المزهر" يقرّ بأنّ هذه المواضعة قائمة على إنتقاء الشخص لكل لفظ المعنى التي توجه إليه أصواته. ونستخلص من هذا القول أنّ عبّاد يقرّ بالتناسب الطبيعي بين الألفاظ والمعاني بحيث يقيموها على أساس المواضعة والإصطلاح. أمّا الدوائر الدينية في نظر الكاتب فإنّهم يقرّون بمذهب التوقيف ويرون أنّ التناسب الطبيعي بين الألفاظ ومدلولاتها يعود إلى الله سبحانه و تعالى،و هو الذي جعل الألفاظ تتناسب مع معانيها وذلك لكثرة تداولها بين الألسن، وهذا التصور لا ينفي المذهب التوقيفي والسيوطي اختصر القول بفكرة التناسب الطبيعي توفيق ومواضعة

[1]-عبد القادر عبد الجليل،المرجع سابق،ص77-ص79

رأى الكاتب أنّ بداية اللّغة الإنسانية إتسمت بطابع مادي محسوس، ولم تكن ذات منظور وجداني أو فكري تجريدي أو ذات فلسفة عقلية، حيث نجد هذا الأخير يستند بما ذهب إليه كل من "أبو إسحاق الاسفرايني" و"أبو الراغب الإصفهاني" و"الجاحظ" بقولهم "أن ابتداء اللغة من الله، جريا وراء مذهب التوقيف، والتتمة من الناس، جريا وراء مذهب المواضعة، أراه وجها حسنا ومقبولا"، والمعنى المقصود من هذا القول أن بداية اللّغة الإنسانية كانت توقيف من الله عز وجل والتكملة كانت من طرف جماعة من الناس على وضعها والإصطلاح عليها.

كما استشهد بما أورده الدكتور" فنذريس" في كتابه "اللّغة" قائلا "إنّ النظام الصوتي بعيد كل البعد من أن يكون ثابتا طوال تطور لغة من اللّغات"[1].

ونستخلص من هذا القول أنّ النظام الصوتي في اللّغة يتغير بتطور لغة من لغات.

وفي نفس السياق ذكر المؤلّف عالم أخر وهو الدكتور "مسعود بوبو "الذي تحدّث في كتابه "فقه اللّغة" عن التطور البطيء الذي عرفته اللّغة العربية في أصواتها فكانت صفات حروفها معظمها متناسبة في العصر القديم والحديث ،ويرجع ذلك إلى توارث الرواية الشفوية للشعر وفنون الأدب وقراءة القرآن الكريم، كما نجد الدكتور عبد القادر عبد الجليل في كتابه اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة أقرّ بنوع ثاني من التطور الذي يظهر في البني الصوتية، وكثيرا ما يكون حرا أو فاعلا، وهو مرتبط بالقوانين الصوتية، التي لا تملك صفة الحتمية، كما هي قوانين متعلقة بالطبيعيات، وقد إستعرض صاحب الكتاب مجموعة من القوانين التي لها صلة بالصوتيات أهمها: قانون جرامونت أو ما يسمى بقانون الأقوى Law of the strong، وقانون الجهد الأقل(القانون ذاتي) .Law of least effort ،وقانون التردد النسبي الصوتي، fréquence of occurance وقانون عامل السرعة (الذاتي) وقانون عامل التوازن وقانون عامل الخارجي، وهذه القوانين عرفت ركنين أساسيين وهو ركن المتكلم(ذاتي) وثاني(صوتي)، وهذا ناتج عن

[1]- عبد القادر عبد الجليل، مرجع نفسه، ص80.

الأصوات وتأثيراتها عند مصاحبتها لبعضها البعض ، وكل ما تحمله من صفات كالشدّة، والرخوة، والجهر، والهمس.

إنّ في التناسب الطبيعي قد بان تطور وازدهار في لب الأصوات كان لابد من وجوده في اللّغة من خلال فتراتها الزمنية، والتي عرفت ارتباطا بالمدلولات.[1]

صرّح الكاتب أنّ دارسي العصر الحديث حصلوا على غايتهم في التناسب الطبيعي فتوجهوا لرؤيته من منظورهم الثقافي والعلمي، تبرهن لما ذهب إليه أهل المواضعة، غير أنّها لا تتفق من حيث تفسير وتحليل الظاهرة، ونجد هذا الأخير يستشهد بالباحث والمؤرخ "هامبولت" الذي أقرّ بفكرة التناسب الطبيعي الذي يكمن بين ألفاظ ومعانيها، أمّا العالم "هياكاوا" نفى ورفض هذه الفكرة مؤكدا في ذلك أنّه لا وجود لأية تناسق وترابط بين الكلمة ومدلولها، مستدلا في هذا بأمثلة تثبت رأيه قائلا: "الرجال الذين يلبسون زيّ البحارة دون أن يقتربوا من يخت طوال حياتهم".ونلاحظ من خلال المثال الذي أورده العالم هياكاوا أنّه ليس هناك جملة تربط الجملة مع المعنى، وفي مثال آخر يقول " يمكنني أن أقول أنا جائع دون أن أكون جائعا"، ونراه قد أشار بالمثال ليثبت ويبيّن أن هناك رموز شتة ترتكز عليها اللّغة العربية للتعبير عن مثل هذه الحالة.

وفي نفس السياق نجد "جسبرسن" تبنّى هذه الفكرة بحيث يرى أنّ التناسب الطبيعي يعطينا نوعا من الأصداء أو ما يطلق عليها (الأنوماتوبيا) ومعنى ذلك أنّ اللّفظ يحدث نوعا من الضجيج والإنفعال موشرا في ذلك بأمثلة تناسب ما تناوله أصحاب النظرية العربية بقولهم :"الألفاظ التي تصدر نوعا من الأصداء والصيحات منبعها أصوات معدنية مثل: الرش، قعقعة، طنين، وخشخشة...إلخ، وفي أغلب الأحيان تكون حالات يصدرها الإنسان مثل: الشخير، العطس، تمطق، أو تلمظ[2].

نجد المؤلّف مازال يقف على ما تناوله الباحثين والعلماء اللّغويين عن فكرة التناسب الطبيعي إذ نرى "فيرث" في هذا المقام قد أبدى برأيه عن هذه الظاهرة مركزا على الصلة بين الكلمات

[1]- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق ، ص81.

[2]- نفس المرجع، ص82- 83.

التي تبدأ بحرفين متجانسين إضافة إلى الوجهات العامة التي تظهر في السياقات اللّغوية التي تكون بحاجة ماسة إلى الدرس العلمي، والتي تعطي ميزة الفرض مثل كدس، ركيزة، صلب...الخ، وقد أدرجت تحت تسميه(الوظيفة الفوناستيكية للأصوات).

أمّا بالنسبة للغويين العرب المحدثين فنجدهم يبرهنون على العلاقة المبنية على أساس محاكاة الإنسان لأصوات الطبيعية، وهم يستقون أعمالهم البحثية إضافة إلى تقصّيهم للحقيقة التي تظهر في الحروف ومقاطعها الصوتية كالنبر و التنغيم ،و ما تحمله من وظائف ودلالات شتّى التي أورثوها عن السابقين الأولين من العلماء و دارسي اللّغة كالخليل وسبيويه. وهذا ما تناوله عبد القادر عبد الجليل في كتابه اللّغة بين ثنائية التوقيف و المواضعة.

ذكر الكاتب عالم آخر تحدث فيه عن نفس المضمون وهو الشيخ "عبد الله العلابلي" الذي يؤكد عن ظاهرة التناسب الطبيعي، وذلك باستناده على قول الدكتور" أسعد علي" قائلا: "إنّ مفردات الأبجدية العربية تختص بتباين معانيها".[1]

ومعنى ذلك أنّ العربية تكمن وظيفتها في توضيح وتبيين المعنى الذي يرد في كل لفظ ،كما تحدثوا عن معاني الحروف وتفرعها بين السعة، والقطع، والتوكيد، والتجديد، والهمز، والغلظة، والرخاوة، والجهر، والهمس...الخ،مؤكدين في ذلك أنّها تحمل في طياتها تناسبا طبيعيا واضحا، غير أنّ كثير ما ذهب إليه أهل العربية في التفسير والتقصي أبعد من ذلك، في أنّ للحرف الواحد أكثر من دلالة صوتية حينما يتلاقى مع حروف أخرى، حيث إستندوا في ذلك إلى حجج و أمثلة وأدلة تثبت رأيهم، ويظهر ذلك من خلال رحلاتهم التي شهدها العرب.

[1]- عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق، ص84

كما نلاحظ أنّ المؤلّف إستشهد بما تطرق إليه كل من" صبحي صالح "في كتابه دراسات "في فقه اللّغة" والأستاذ" محمد مبارك" في كتابه" اللّغة وخصائص العربية" اللّذان تحدثا عن دلالات الحروف وما تحمله من قوى سحرية التي تحيلنا لدلالات معينة تكاد لا تختلف عن غيرها، كما استنتجوا أنّ معظم الحروف تجعل النفوس مهيّئة لانتقاء ما تحمله من دلالات .[1]

[1]- ينظر : عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق، ص. 85 86

الفصل الثاني

دراسة بعض قضايا الكتاب

القضية الأولى : الثنائية اللّغوية بدل الإزدواجية اللّغوية:

تعتبر اللّغة أداة التواصل بين بني البشر ،ووسيلة أساسية لتحديد نمو وتطور واستمرار علوم وثقافة المجتمع ، ولها الفضل الواسع لنقل الأفكار والتفاهم ، وهي كغيرها من أخواتها تحتك وتتشارك بهم وتؤثر وتتأثر ببعضها البعض ، وفي هذا المجال قد تعددت اللّغات ووجهات الدراسة فيها ،ومن هنا برز مصطلحين مهمّين إرتبطا باللّغة عامة هما : مصطلح الثنائية والإزدواجية اللّغوية ، فموضوع التفريق بين هاذين المصطلحين هام وأساسي من خلال أنّ كل مصطلح يختص بمميزات وخصائص تميّزه عن غيره ،ممّا يجعلنا ننتقي هذا عن ذاك أو العكس.

إنّ الدكتور عبد القادر عبد الجليل في مؤّلفه اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة قد انتقى مصطلح الثنائية اللّغوية بدل الإزدواجية اللّغوية ،وبغض النظر عن إذا تصفحنا كتابه ومحتواه ،فإنّه يتضح هذا من خلال عنوان كتابه أيضا ،أنّه قد فضّل مصطلح الثنائية اللّغوية ، بحيث أعطى مفاهيم ودلائل لهذا اللّفظ ولمصطلح الإزدواجية اللّغوية في مواضيعه الأولى من مؤلّفه ، ودافع عن فكرة إتخاذه مصطلح الثنائية خاصة وهو بصدد دراسة نظريتي نشأة اللّغة الإنسانية محاولا تبسيط القول فيها .

لقد أطال المؤلّف في كتابه الذّي هو قيد الدراسة الحديث في مصطلحي الثنائية والإزدواجية اللّغوية ، والسبب وراء انتقاءه لفظة الثنائية بدل الإزدواجية ، وامتثاله لإمكانية إستخدام لفظة المستوى بدلا عن الإزدواجية . حيث قال في الثنائية اللّغوية بأنّها :«مصطلح إستخدمه بعض الباحثين في دراساتهم للتركيب الذّري للكلمة العربية وهم يبحثون في أصول اللّغة العربية ، وهي ما ضمّ صورتين متكافئتين لأمر يرى فيه الباحثون رؤى مختلفة ، بغض النظر عن صواب وبطلان أي من هاتين الصورتين ».[1]

في حين نجد أنّ العديد من الباحثين العرب والغرب حاولوا التفريق بين هاذين المصطلحين بذكر مفاهيمها وشرحها ، ومن هؤلاء الباحثين اللّغويين "إبراهيم خليل "الّذي أبرز ذلك في مؤلّفه" مدخل إلى علم اللّغة" الّذي عرّف فيه كل من مصطلحي الثنائية والإزدواجية اللّغوية وتجلى ذلك في قوله:

[1] – ينظر : عبد القادر عبد الجليل، المرجع السابق، ص24

« ثمّة فرق بين الإزدواجية اللّغوية والثنائية اللّغوية Bilingualism فالتعبير الأول يعنى به قيام مجموعة لغوية باستعمال تنوعين من اللّغة المشتركة الواحدة ذاتها أحدها ذات إعتبار أرقى من الآخر، فيستخدم في الكتابة ، الأدبية والعلمية والفكرية ، والخطب وغير ذلك . والآخر يستخدم فيما عدا ذلك أي : في لغة التخاطب اليومي ، وينظر إليه باعتباره تنوعا أدنى من السابق الذي يستعمل في الكتابة . وخير مثال لذلك العاميّة الدارجة في العربية فهي تستعمل في لغة الحديث اليومي ، ولا تستعمل في لغة الكتابة إلا نادرا .

أمّا ثنائية اللّغة أو الثنائية اللّغوية فتعني وجود لغتين متنافستين في الإستعمال تتمتعان بمنزلة واحدة من حيث الكتابة الرّسمية والإستعمال الرّسمي مثلما نلاحظ في بلدنا الجزائر حيث العربية لغة مشتركة والفرنسية كذلك . وهما تمثلان لغتين يجيدهما المتكلمون بالقدر نفسه من الكفاية .»[1]

ومن الواضح لنا أنّ الدكتور" إبراهيم خليل" قد أعطى مفهوما واضحا وشاملا لكلا المصطلحين مع التمثيل لهما .

نستخلص من قوله أنّ الثنائية اللّغوية تتمثل في وجود لغتين مختلفتين عن بعضهما في الرّسم والتداول ، غير أنّهما تتمتعان بمنزلة ومرتبة واحدة . أمّا إزدواجية اللّغة فهي تختص بتنوعين من لغة واحدة عامة بحيث تختلف مسارات هذه اللّغة واستعمالاتها داخل المجتمع .

إضافة إلى ذلك من الباحثين الّذين اهتموا بهذه القضية نجد الدكتور "محمد شهاب" الذي حاول من خلال كتابه" اللّغة العربية تأصيل وإبداع"، بحيث عرّف مصطلح الإزدواجية ومثّل عليه في قوله: «يقصد بالإزدواجية إستعمال لغتين من حضارة واحدة وأصل واحد ورحم واحد ، كالإزدواجية بين العامية والفصحى في اللّغة العربية .» [2]ونفهم منها أنّ الإزدواجية هي إستخدام لغتين أو مستويين من لغة واحدة أصلية تتناسب وحضارة المجتمع المستعملة فيه . وفي هذا المفهوم قد أهمل الدكتور "إبراهيم خليل" مصطلح الثنائية اللّغوية واكتفى بتوضيح مفهوم الإزدواجية والتمثيل لها.

[1] – ابراهيم محمود خليل، مدخل إلى علم اللغة، دار المسيرة، عمان، ط1، 1430هـ-2010م، ض 75-76

[2] – محمد شهاب، اللغة العربية تأصيل وإبداع، دار قنديل، عمان، الأردن، ط1، 2014م، ص29.

رغم أنّ الكاتب عبد القادر عبد الجليل في مؤلّفه قيد الدراسة قد أخذ مفهوم التوقيف والمواضعة وهذا ما تطرقنا له في الفصل الأول من مذكرتنا من مؤلّفه لسان العرب "لابن منظور" ، إلّاأنّه لم يأخذ مفهوم الإزدواجية على الرغم من أنّه قد تطرق لها هذا الأخير بتعريفها لغويا في قوله : «الزوج : خلاف الفرد، يقال زوج أو فرد، وكان الحسن يقول في قوله تعالى: ومن كل شيء خلقنا زوجين، قال السماء زوج، والنهار زوج ويجمع الزوج أزواجا وأزاويج.»[1] وهذا المفهوم مفهوم لغوي لمصطلح الإزدواجية مفاده أنّ الإزدواجية لفظة مشتقة من الزوج وهو خلاف للواحد الفرد، بمعنى إثنان ، وتصرّف حسب الحاجة في الجمع أزواجا وأزاويج .

وعليه يمكننا إدراج تعريفات خاصة وأمثلة بغية المشاركة في توضيح مفاهيم لكل من الثنائية والإزدواجية اللّغوية . فالثنائية اللّغوية هي إستعمال لغتين مختلفتين في مجتمع واحد ، بحيث أنّها من هاتين اللّغتين تمتلك منزلة ومميزات خاصة منفردة . أمّا عن الإزدواجية اللّغوية فهي ذلك الإستخدام المزدوج الذي يحتوي مستويين لغويين واحد فصيح يستعمل في المؤسسات العمومية والخاصة والتربوية ، والآخر عامّي يستعمل خارج هذه المؤسسات وفي المحادثات اليومية .

ومن خلال ما يظهر في مجتمعنا فالثنائية اللّغوية تكمن في مجتمعنا وتتجلى في وجود اللّغتين العربية والفرنسية باعتبارهما يستخدمان من طرف أفراد المجتمع ، يكون ذلك في كل المجالات ، وكذلك الحال عن الإزدواجية اللّغوية فنجد المستوى العامّي والفصيح ، بحيث يستعمل كل واحد منهم في مجال معين .

نستنتج من خلال دراستنا لهذه القضية الأساسية أنّ المؤلّف عبد القادر عبد الجليل في قضية ثنائية اللّغة بدل إزدواجية اللّغة انّه قد أصاب في دفاعه وبرهنته لانتقائه مصطلح الثنائية تخصيصا في دراسة وتحديد أصل اللّغة الإنسانية ، باعتبار أنّ هذا المصطلح يتناسب معى ما هو بصدده من توضيح نشأة اللّغة على أنّها توقيف أو مواضعة .

[1] – ابن منظور، لسان العرب،

القضية 02: أصل اللّغة في الحضارات القديمة:

لم يحظ موضوع من موضوعات اللّغة في تاريخ الفكر الإنساني بقدر من الإهتمام والتفكير مثلما حظي موضوع نشأة اللّغة وأصلها، ففي كل العصور وعلى إمتداد الحضارات القديمة في مصر ،بابل ،الهند ،الصين ،اليونان ،الرومان ثم في العصر الوسيط إبّان إزدهار الحضارة الإسلامية، ثم أثناء العصور المظلمة في أوروبا وعصر النهضة بعدها، كان الفلاسفة وعلماء اللّغة ورجال الدين مشتغلون بفكرة البحث عن أصل اللّغة الإنسانية، كيف نشأت؟ ومن أين جاء الإنسان بهذه القدرة على الكلام.

أشار عبد القادر عبد الجليل في كتاب اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة إلى قضية هامة والتي تمثلت في أصل اللّغة في الحضارات القديمة بحيث رأى: "أنّ البدايات الأولى للّغة الإنسانية كانت مرتبطة بالحضارات القديمة كالحضارة المصرية والعبرية والآرامية واليونانية واستند في ذلك لمجموعة من الفلاسفة والمؤرخين، كالمؤرخ اليوناني" هيرودت "والفيلسوف "ديمقراطيس".[1]

وعند إطلاعنا على كتاب لسانيات النشأة والتطور للأستاذ "أحمد مومن" نجده قد تطرق إلى هذه الفكرة عند المصريون القدامى، و التي لا تكاد تختلف عمّا تناوله عبد القادر عبد الجليل في كتابه الذي نحن بصدد دراسته بقوله "لم يعتمد المفكرون القدامى بصفة عامة الملاحظة والتجربة في دراسة الظواهر اللّغوية غير أنّ في القرن الخامس قبل الميلاد سرد لنا المؤرخ الإغريقي" هيرودت" قصة مثيرة للإعجاب مفادها أنّ الملك المصري" بسامتيشوس "حاول معرفة أقدم إنسان على هذه الأرض فما كان من أمره إلاّ أن قرّر عزل صبيين عن المجتمع منذ ولادتهما إلى الوقت الذي يبدآن في الكلام ،وكان إفتراضه أن يؤدي عدم وجود أي مثال يحتذى به في النطق إلى إستعمال أوّل لغة بشرية في العالم ومع مرور الزمن سمع الطفلان وهما يرددان أنّ كلمة " بيكوس" وعلم الملك وأتباعه أنّ هذه الكلمات تنتمي إلى اللّغة الفرنسية ومن هنا استخلص الملك أنّ هذه اللّغة هي اللّغة الأولى التي عرفتها الإنسانية"[2].

[1]- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، ، مرجع سابق، ص: 31-ص 35.

[2]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، (د ب، دت)، ص01

والمعنى المراد من خلال ما تناوله الأستاذ" أحمد مومن"في كتابه" اللّسانيات النشأة والتطور "عن أصل اللّغة في الحضارة المصرية القديمة أنّ البدايات الأولى للغة التي عرفتها الإنسانية كانت مرتبطة بالصين الّتي تمّ عزلهما عن المجتمع منذ ولادتهما ،وهذا ما قرّره المؤرخ الإغريقي "هيرودت".

و في كتاب آخر نجد الدكتور" صبحي صالح" في كتابه" دراسات في فقه اللّغة "قد وقف على هذه الفكرة وذلك من خلال حديثه عن حضارتين العبرية و الآرامية،و التي كانت متناولة في كتاب عبد القادر عبد الجليل قائلا :"العبرية، وهي من أهم اللّهجات الكنعانية على الإطلاق، وقد وصلت إلينا عن طريق أسفار العصر القديم، وفي ثنايا بعض النقوش واللّوحات الصخرية عن طريق تلاوة اليهود لآيات التوراة وبعض الأوراد، ونحن نقصد بالعبرية طبعا عبرية العهد القديم التي تختلف إختلافا عظيما عن العبرية الحديثة التي أصبحت لغة الآداب اليهودية المستحدثة، وأمّا الحضارة الآرامية فتأخذ من بعض الأثار الأشورية البابلية،وأنّ قبائلها قد هاجرت من الجزيرة أيضا إلى أرض "بابل وآشور" فيما بين القرنين الرابع عشر والثاني عشر قبل الميلاد، وكانت الآرامية من العنقوان والقوة بحيث إستطاعت أن تفرض نفسها على جميع أخواتها الشرقية والشمالية حتّى أضحت لغة التخاطب السائدة في الشرق الأدبي"[1]

ونستخلص من خلال قول الدكتور" صالح صبحي "أنّ العبرية إحدى اللّهجات المهمّة والأساسية عند الكنعانيين ،كما تعد لغة الآداب اليهودية الحديثة ، أمّا الآرامية فكان لها صدى كبير دون الحضارات الأخرى، وذلك لأنّها أعتبرت لغة التخاطب في الشرق الأدبي ،

وفي نفس السياق نجد الدكتور "حلمي خليل" في كتابة" مقدمة لدراسة فقه اللّغة" يتحدّث عن أصل اللّغة في الحضارة اليونانية، بقوله:" في الحضارة اليونانية نجد أنّ البحث في نشأة اللّغة يأخذ طابعا فلسفيا و لكنّه لا يبعد كثيرا عمّا ذهبت إليه الحضارات الأقدم فقال:" أفلاطون" أنّ اللّغة ظاهرة طبيعية لا شأن للإنسان في وجودها، في حين أثبت" أرسطو" أنّ اللّغة ظاهرة إجتماعية نشأت

[1]- صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ،(د-ط)،لبنان، ص51.

نتيجة للإجتماع البشري، وهي ذات وجود مادي يتمثل في الأصوات والألفاظ والتراكيب وتظهر إجتماعيتها ، وأنّها نتاج إنساني من تغيرها يتغير المجتمع الإنساني".[1]

ونستخلص من خلال قول الدكتور" حلمي خليل" أنّ الحضارة اليونانية اتسمت في بحثها عن أصل اللّغة بالفكر الفلسفي، فهي لم تختلف فيما تناوله الأمم السابقة عن نشأة اللّغة ،فنلاحظ من خلال قول "أفلاطون" أنّ اللّغة ظاهرة طبيعية أي أنّها ظهرت نتيجة لمحاكاة الإنسان لأصوات الطبيعة ، أمّا "أرسطو" فيذهب بقوله أنّ اللّغة ظاهرة إجتماعية يعني أنّ نشأة اللّغة نشأت نتيجة الوضع والإصطلاح.

[1]- حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار المعرفة الجامعية، ، (د ط)،مصر، سنة2005م، ص90.

القضية03: أصل اللّغة الإنسانية عند أهل التوقيف:

إنّ الكثير من دارسي اللّغة كانت لهم آراء ووجهات مختلفة حول نشأة اللّغة ، فمنهم من يراها من منظور نظرية التوقيف، أي أنّها إلهام ووحي من الله عز وجل، ومنهم من يراها على أنّها تواضع واصطلاح ،أي إتفاق جماعة من الناس على وضعها والإصطلاح عليها، وهذا ما أثار جدلا ونزاعا بين الطرفين، ممّا جعلهم يلجأون إلى توظيف وإظهار مجموعة من البراهين والأدلة التي تثبت آرائهم.

بعدما تطرق عبد القادر عبد الجليل في كتابه اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة إلى فكرة أصل اللّغة الإنسانية عند أهل التوقيف والمواضعة حيث رأى أنّ كل من هذين الإتجاهين له رأيه الخاص وأدلّته التي تبرهن ذلك، فأهل التوقيف حسب رأيه يرون بأنّ أصل اللّغة إلهام ووحي من الله عز وجل، أي أنّ اللّغة لم تأتي من العدم ،وإنّما جاءت نتيجة وحي الله عز وجل لآدم عليه السلام،حيث وظّف الكاتب جملة من الأدلة النقلية التي تثبت ذلك،ووضّح ذلك من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي أوردها بالشرح والتفصيل"[1] ،ومنه قوله تعالى:" **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** "[2].

وفي هذا الصدد نجد الدكتور "إميل بديع يعقوب "في كتابه" أصول في فقه اللّغة العربية " قد أشار إلى هذه الفكرة، حيث أنّ فكرته تتوافق مع فكرة عبد القادر عبد الجليل حين قال:" أنّ الله أحضر كل الحيوانات البريّة وكل طيور السماء من الأرض، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حين فهو إسمها، فدعا آدم بأسماء جميع البهائم، وطيور السماء و جميع الحيوانات البرية." وقد مثّل لما قاله بالآية الكريمة في قوله عزّ وجل في سورة البقرة الآية 31 :" **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ".ويتبيّن لنا من خلال قول"إميل بديع يعقوب" في كتابه "أصول في فقه اللّغة العربية" أنّ الأصل في نشأة اللّغة يعود إلى وحي الله لآدم عليه السلام بوضع مسميات الأشياء، ودليلهم في ذلك قوله تعالى:" **وعلّم آدم الأسماء كلّها**".[3]

[1] – ينظر: عبد القادر عبد الجليل، اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة، مرجع سابق، ص29.

[2] – سورة البقرة الآية 31.

[3] – اميل بديع يعقوب، فصول في فقه اللغة العربية، المؤسسة الحديثة للكتاب، ، ط1،بيروت، سنة 2011، ص10.

وفي نفس السياق نجد الدكتورة" نور الهدى لوشن "في مؤلّفها" مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي" قد حاولت الإشارة إلى هذه الفكرة في قولها:" أنّ نظرية الوحي والإلهام تذهب إلى أنّ الله سبحانه وتعالى أوحى إلى آدم وألهمه أن يضع أسماء لمسميات الأشياء التي خلقها، بحيث نجدها قد إستدلّت بأدلة نقلية مقتبسة من الكتب المقدّسة".[1]

وممّا نلاحظه أنّ ما استشهدت به الدكتورة" نور الهدى لوشن" هو نفسه مااستدل به الدكتور "إميل بديع يعقوب" في مؤلّفه السابق وذلك في أنّ الله ألهم آدم عليه السلام وعلّمه الأسماء، ومن جهة أخرى نجدها قد وظّفت نفس الآية الكريمة من سورة البقرة، التي إستشهد بها كل من عبد القادر عبد الجليل و اميل بديع يعقوب، كما نلاحظ من خلال كتابها إلى شرح إحدى مفاهيم هذه الآية الكريمة وهي لفظة الأسماء في قولها :"المقصود بالأسماء هذه الأسماء التي يتعارفها النّاس من دابة وأرض ،سهل ،جبل وما أشبه ذلك من الأمم غيرها". ومما يبدوا لنا أنّ التأكيد على لفظة الأسماء أمر مهم لأنّها تحمل معاني كثيرة متعددة ،إذ نرى أنّ الدكتورة "نور الهدى لوشن " قد خصّت لفظة الأسماء بمفهومها الدّال على ما يتداوله الناس من دابة ،وأرض .... الخ.

إنّ من بين الباحثين اللّغويين الذي اهتموا بموضوع نشأة اللّغة الإنسانية الدكتور" عنود الشايش الخريشا " الذي حاول التنبيه والبحث في هذه القضية المهمّة والأساسية ممّا وضحه في كتابه" أسس المنهاج واللّغة" حيث عرض أهم نظريات نشوء اللّغة وعدّها بثلاث نظريات :أوّلها أنّها محاكاة لأصوات الطبيعة ،وثانيها أنّها نظرية التغيّر الطبيعي عند الإنفعالات ،أمّا ثالثها فتتمثل في نظرية التوقيف، وإنّ ممّا يهمّنا في هذا الموضع وما نحن بصدد دراسة ما يخص نظرية التوقيف وأصحابها وحججها في تحديد طبيعة اللّغة ،حين قال :"يرى أصحاب هذه النظرية أنّ اللّغة هبة من الله تعالى، ولا شأن للإنسان بوضعها ،وأوّل من قال بهذه النظرية كان الفيلسوف اليوناني "هيراقليطس" الذي رأى أنّ الأسماء تدل على مسمياتها الطبيعية لا بالتواطؤ والإصطلاح و،أنّ هذه الأسماء قد أعطيت من لدن قوة إلهية لتكون أسماء للمسمياتها ".[2]

[1]- نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، دار المكتب الجامعي الحديث،د ط، سنة 2008م، ص44.

[2]- عنود الشايش الخريشا، أسس المناهج واللغة، دار الحامد، ، ط1،عمان، 1433هـ- 2012م، ص225.

وعليه قصد الدكتور "عنود الشايش الخريشا" أنّ الأصل في نشأة اللّغة يعود إلى كونها وحي من الله تعالى، وليس للإنسان دخل في وضعها، مبرهنا على هذا الرأي كغيره من الباحثين بأوّل من فصّل واهتمّ بهذه النظرية وهو الفيلسوف صاحب الجنسية اليونانية " هيراقليطس " الذي أكّد أنّ نشأة اللّغة مرتبطة بالقوة الربّانية الواضعة لأسماء الأشياء وإطلاق كل إسم على مسماه الجوهري الطبيعي.حيث نجد عبد القادر عبد الجليل قد وظّف ما قاله هذا الأخير في موضوعه آراء في المسار في الكتاب الذي هو قيد الدراسة.

إنّ ممّا نذكر كزلة من الدكتور" عنود الشايش الخريشا "في هذا الموضوع عدم تفصيله بشكل متميز لهذه النظرية خاصة ولهذا الموضوع عامة، وذلك أنّه تحدّث عن اللّغة وأهمّيتها ووظائفها ونظرياتها لكنّه لم يلم بها بشكل واسع باعتبارها قضية أساسية ألزمته على التطرق لها بمجرد الحديث عن اللّغة فذكره بشكل مختصر في بضع أسطر من ثنايا كتابه .

وممّا إستشهد به الدكتور عبد القادر عبد الجليل في كتابه قيد الدراسة بخصوص موضوع نشأة اللّغة الإنسانية أهي إلهام ووحي من الله عزّوجل لعباده أم هي إصطلاح وتواضع بين الأفراد ما وظّفه "أبي الفتح عثمان ابن الجني"في مؤلّفه" الخصائص " حيث حاول التفصيل في تحديد أصل اللّغة الإنسانية إذ قال :"هذا موضع محوج إلى فضل تأمل ؛غير أكثر أهل النظر على أنّ أصل اللّغة إنّما هو تواضع وإصطلاح ،لا وحي و(توقيف).إلّا أنّ أبا علي رحمه الله قال يوما: هي من عند الله ."[1]

إكتفى الكاتب عبد القادر عبد الجليل بأخذ العبارة الأولى أو بداية الفقرة فقط ممّا قاله "ابن جني" في مؤلّفه،وهذه العبارة تمثلت في قوله:" موضوع محوج إلى فضل تأمل" ،حيث ذكرها مؤلّف الكتاب قيد الدراسة بشكل مختصر في شكل مقولة خصّص لها صفحة كاملة وضعها في بداية كتابه قبل تطرقه إلى مواضيع الكتاب.

المقصود بتلك العبارة أنّ نشأة مسألة نشأة اللّغة الإنسانية تتميز باحتياجها للتأمّل والتفكير وبعد النظر،وما لم يأخذه الكاتب من مؤلّف "إبن جني"هو محاولته التطرق إلى معرفة أصل اللّغة

[1] – ابن جني، الخصائص، دار الكتب المصرية، ص02.

،وبرهنته على أنّها قد تكون توقيف أو مواضعة ، وهذا واضح من خلال ما قصّه عن أبا علي رحمه الله قال له "هي من عند الله"مبرهنا على ذلك من ما تجلى في قوله سبحانه وتعالى في الآية 31 من سورة البقرة " **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ".

وممّا أضافه "ابن جني "حول هذه المسألة وهذا التدليل قوله:" وهذا لا يتناول موضع الخلاف." وذلك أنّه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أنّ واضع عليها؛ وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة. فإذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الإستدلال به. وقدكان أبو علي رحمه الله أيضا قال به في بعض كلامه. وهذا أيضا رأي "أبي حسن" ؛على أنّه لم يمنع قول من قال: إنّها تواضع منه. أنّه قد فسّر هذا بأن قيل: أنّ الله سبحانه علّم آدم الأسماء جميع المخلوقات،بجميع اللّغات : العبرية، الفارسية ،السريانية، العبرانية،الرومية وغير ذلك من سائر اللّغات؛ فكان آدم وولده يتكلمون بها، ثم أنّ ولده تفرّقوا في الدنيا، وعلق كل منهم بلغة من تلك اللّغات، فغلبت عليه، واضمحلّ عنه ما سواها، لبعد عهدهم بها".[1]

وعليه نستنتج أنّ الدكتور "ابن الجني" في مؤلّفة "الخصائص "تطرق بالشرح والتحليل إلى قضية أساسية مهمّة تمكّن من تحديد أصل اللّغة الإنسانية واحتمالية ردّها إلى أنّها توفيق أم أنّها إصطلاح وتواضع .حيث أنّه خصّص باب من أبواب كتابه لهذه القضية المهمّة مبرزا أهم ما تعلق بها من أفكار ودراسات لغوية من قبل بعض اللّغويين وأهل النظر. كما نلاحظ أنّ أهم مااستدل به "ابن جني" هو نفسه ما صرّح به العديد من العلماء اللّغويين وهو ما تجلّى في قوله تعالى:" **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**."

ومنه كذلك ما ورد في كتاب "علم اللّغة مدخل نظري في اللّغة العربية" للدكتور" محمود عكاشة" فيما يخص موضوع أصل اللّغة وارتباطها بوحي من الله ام باصطلاح أفراد المجتمع فيما بينهم، مفصّلا هذا الأخير في هاذين الموقفين فقال في الموقف الأول المتمثل في القائلين بأنّ أصل اللّغة منذ ظهورها يعود إلى الهام الله عز وجل إلى آدم عليه السلام بأسماء الأشياء، هذا ما حاول

[1]- ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص03

تبيينه والبرهنة عليه في قوله:"يرى اصحاب هذا الرأي أنّ اللّغة إلهام من الله إلى آدم أو وحي هبط عليه، فعلّمه النطق وأسماء الأشياء ،وقد ذهب إلى هذا الرأي في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني "هيراكليت"Héraclite (ت280ق.م) ونسبة هذا الرأي له ليست يقينية ،لأنّ الوحي يرتبط بالأديان السماوية ولهذه النظرية صدى في العهد القديم الذي أشار إلى أنّ الله تعالى علّم آدم الأسماء الأشياء، وهو الذي قدر إختلاف اللّغة."[1]

كما استعان الدكتور محمود عكاشة بمجموعة من علماء العرب المسلمين الذين اهتموا بهذه المسألة ،ويخصّ من بينهم "ابن جني" الذي سبق أن وضّحنا رأيه في هذه القضية وحججه، فالكاتب "محمود عكاشة" وظّف ما ورد عن "ابن جني" عن رأي أستاذه "أبي علي"، وما احتج به ،وذلك في قوله :"قال لي يوما"هي من عند اللهّ" ،واحتج بقوله سبحانه وتعالى:" **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**." مبينا في نفس الوقت مناقشته لهذا القول حين قال:"و هذا لا يتناول موضوع الخلاف وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أنّ واضع عليها.و هذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة ،فإذا كان ذلك محتمل غير مستنكر سقط الاستدلال به." وهذا القول وظفه "محمود عكاشة "وكذلك "ابن جني" حاول من خلاله تبيان عدم إمكانية الاستدلال به.

وإنّ من أبرز علماء العرب إنحيازا لهذا الموقف الدكتور" ابن فارس "الذي قدّم أدلته النقلية لهذه النظرية ،ثم احتج بصحة رأيه بأدلة عقلية، وقد ذكر الدكتور "محمود عكاشة" هذه الأدلة مع مناقشتها و محاولة التفصيل فيها :وكل هذا تجلى في قوله: "أقول إنّ لغة العربي توقيف ودليل ذلك قوله جل ثناءا :" **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** " فكان "ابن عباس" يقول :"علّمه الأسماء كلّها وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابه وأرض وسهل وجمل وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها واستشهد لغيره على ما ذهب إليه، ثم قال والدليل على صحه ما نذهب إليه إجماع العلماء على الاحتجاج بلغه القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه ثم احتجاجهم بأشعارهم ،ولو كانت اللّغة مواضعة واصطلاحا لم يكن أولئك في الإحتجاج بهم بأولى منّا في الإحتجاج بنا لو اصطلحنا على

[1]- محمود عكاشة، علم الله مدخل نظري في اللغة العربية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ، ط1، مصر،سنة 1428هـ، 2007م، ص65، 66.

لغة اليوم، ولا فرق." وليس ما ذكره" ابن فارس" بحجة في هذا الموضع ،لأنّ الاحتجاج يكون على صحة استخدام اللّغة في أصل الوضع،لأننا قد نستخدم اللّفظ في غير موضعه أو دون دلالته التي اصطلح عليها في أصل الوضع خطأ في الاستخدام"[1].

لقد وظف الدكتور" محمود عكاشة" ما قال" ابن فارس" في نظرية التوقيف من خلال توضيح أدلة نقلية وعقليه تبيّن أنّ أصل اللّغة الإنسانية توقيف من الله تعالى، بحيث أن توظيف الألفاظ مرتبط بمعانيها ودلالتها التي تشرحه وتفسره وتوافقه.

وكذلك ممّا أضافه صاحب الكتاب "علم اللّغة" ما رآه بعض الأصوليين بخصوص هذا الموقف، حيث حاول الدكتور "محمود عكاشة "في مجموعه من السطور عرض آرائهم وإبراز أهم ما استدلوا به حيث قال :"ورأى بعض الأصوليين هذا الرأي، فذهب الأشعري وأهل الظاهر وجماعة من الفقهاء إلى أنّ الله تعالى هو الذي وضع اللّغة ،وعلّمها آدم بالوحي أو الإلهام،واحتجّوا لقوله تعالى :" **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**" [2]، قالو: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، وهذا يدل على أن أدم والملائكة لا يعلمون إلا بتعليم الله تعالى، ومنها **قوله تعالي :" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) ".**[3]

وقالوا لم يبلغنا أنّ قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجتمعو على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه . ولم يبلغنا عن الصحابة رضوان الله عليهم ،وهم البلاغاء والفصحاء من النظر في العلوم الشريفة مال خفاء به، وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظة لم يتقدمهم."[4]

[1] – محمود عكاشة، علم الله مدخل نظري في اللغة العربية، مرجع سابق، ص67

[2] – سورة البقرة الآية 30. 31.

[3] – سورة العلق الآية 1- 5.

[4] – المرجع نفسه، ص 68.

لقد طرح الدكتور "محمود عكاشة" في كتابه" علم اللّغة" أراء الأصوليين في نشأة اللّغة مخصّصا بالذكر الأشعري وأهل الظاهر وجماعة من الفقهاء، الذين صرّحوا بأنّ أصل اللّغة الإنسانية راجع إلى وحي الله تعالى لآدم عليه السلام بمسميات الأشياء ، مستندين في التبرير على ذلك بمجموعه من الآيات القرآنية في سورتي البقرة والعلق.

إضافة على ذلك ما اعتمدوا عن العرب والصحابة رضي الله عنهم باعتبارهم اسبقهم زمانا و أكثرهم فصاحة وأحقّهم علما ، حيث أنه لم يصلهم بأنّ العرب لم يصطلحوا ويحددوا مسميات للأشياء ،و لم يخترعوا وينتجوا أكثر مما كان أو عرف من قبلهم.

إنّ من أهمّ المؤلّفات التي رجع إليها المؤلّف عبد القادر عبد الجليل ،والتي يمكن إضافتها بدراستنا كتاب "المزهر" للسيوطي " الذي أخذ منه الدكتور عبد القادر عبد الجليل في كتابه الذي هو قيد الدراسة،واعتبره مرجع أساسي اعتمده بشكل كبير في طرح مادته العلمية ،فنجد الدكتور السيوطي قد فصّل في ما يخص اللّغة عامة وأعطى لها مجموعة من المفاهيم من قبل العديد من علماء العرب ،ومثلما أشار إلى مفهوم اللّغة أشار كذلك لنشأتها وارتباطها بالتوقيف أم بالصطلاح ،فمؤلّف كتاب المزهر طرح قضية أصل اللّغة وفق ارتباطها بما صرّح به أهل نظرية التوقيف من خلال توظيفه وشرحه لمجموعه من أقوال العلماء والباحثين العرب بادئا ب"أحمد ابن فارس" في "فقه اللّغة" حين قال :"إعلم أنّ لغة العرب توقيف ؛ودليل ذلك قوله تعالى:" وعلّم آدم الأسماء كلّها" فكان" ابن عباس" يقول: علّمه الأسماء كلّها، وفي هذه {الأسماء} التي يتعارفها الناس ؛من دابه وأرض ،وسهل وجبل، و{جمل }وحمار ،وأشباه ذلك من الأمم غيرها[1]".

إنّ ما صرحّ به "ابن فارس" في هذا المقام هو نفسه ما صرّحت به الدكتورة "نور الهدى لوشن" في مؤلّفها "مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي "وكذلك يتطابق مع ما صرحّ به "محمود عكاشة" في كتابه "علم اللّغة مدخل نظري في اللّغة العربية" حول مرد نشأة اللّغة إلى وحي الله تعالى، والمقصود من هذا القول أنّ أصل اللّغة عند العرب جاء بتوقيف من الله ،مبرهنا على هذا كغيره

[1]- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، المزهر، دار أحياد العربية، ص1

من العلماء والباحثين في اللّغة بقوله تعالى: " **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** " وهذه الأسماء هي التي نتعامل بها ولا نتعارفها فيما بيننا .ثمّ ذهب السيوطي إلى توظيف ما رواه حصيف عن مجاهد حين قال: "علّمه اسم كل شيء وقال غيرهما: إنّما علّمه أسماء الملائكة ،وقال آخرون: علّمه أسماء ذريته أجمعين".

قال ابن فارس:" والّذي نذهب إليه في ذلك ما ذكرناه عن" ابن عباس"، فإن قال قائل: لو كان ذلك كما تذهب إليه قال :" ثم عرضه أو عرضها .قال: "عرضهم" علم أنّ ذلك للأعيان بني آدم، أو الملائكة ؛لأنّ موضوع الكناية في كلام العرب أن يقال لما يعقل :"عرضهم"ولما لا يعقل: "عرضها" أو "عرضهنّ".قيل له: إنّما قال ذلك–و الله أعلم– لأنّه جمع ما يعقل وما لا يعقل؛فغلب ما يعقل، وهي سنة من سنن العرب؛{أعني باب التغليب }،وذلك كقوله تعالى :"والله خلق كل دابة من ماء، من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين ،ومن هم من يمشي على أربع ."فقال: (منهم) تغليبا لمن يمشي على رجلين ،وهم بنوا آدم".[1]

كما أضاف مجموعة من المقولات والشروحات لابن فارس إلى هذا والذي جاء في كتاب "محمود عكاشة "علم اللّغة "الذي درسناه سابقا. وكذلك مجموعه من الإضافات ومما زاد في تشبيع مادته العلمية توظيف ما قاله "ابن جني" في مؤلّفه "الخصائص" مقولات وأمثلة وشروحات في توضيح ما تحويه هذه القضية المهمة.

وفي الأخير نستنتج أنّ ما جاء في كتاب "المزهر" "للسيوطي"هو ما نجده في أغلب المؤلّفات العربية للعلماء والباحثين في موضوع اللّغة وطبيعتها، ولذلك فإنّ فكرته تتوافق مع ما جاء في كتاب عبد القادر عبد الجليل "اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة وذلك في بعض المقولات الموظفة عن "ابن فارس" و"ابن جني " وكذلك الأمثلة والشرح ،فالسيوطي وضّح أهم النظريات القائمة عليها نشأة اللّغة وفصّل القول فيها بشكل دقيق في عدة صفحات، فقضية نشأة اللّغة عند أهل التوقيف تقوم على وحي الله تعالى للأنبياء بمسميات الأشياء ودليله كبقية أهل التوقيف والذي وظفه أغلب العلماء

[1]– جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، المزهر، مرجع سابق، ص3–4

واللغويين العرب إن لم نقل جلّهم قوله تعالى:" وعلّم آدم الأسماء كلّها" وكذلك ما اختصت به كلمة عرضهم من منهم عقلاء الممثلين في بني آدم وكذلك نزول الوحي على آدم عليه السلام حيث علّمه ربّه لغة مكّنته من التعامل والتواصل أنذاك ،ثم علّم بعده الأنبياء إلى أن وصل إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) فعلمه كل شيء إلى لغت يومنا هذا وعليه فإن السيوطي قد ألمّ وفصّل في هذه القضية بشكل كبير ودقيق.

الفضية 04: أصل اللّغة الإنسانية عند أهل المواضعة:

تعتبر اللّغة إحدى وسائل الإتصال بين البشر يعبّر الفرد فيها عن حاجاته ومشكلاته وأفكاره ومشاعره، إذ تساعد على فهم من حوله ،كما أنّها وسيله مهمّة لتكوين العلاقات الإجتماعية وتفاعلها.

وعليه فقد تعددت الدراسات في موضوع اللّغة من خلال إعطاء مجموعة من المفاهيم والتعريفات التي توضحها ،و كذلك من خلال محاولة تحديد أصلها ونشأتها سواء أكانت نتيجة توقيف أم اصطلاح.وسبق وأن تطرقنا لتوضيح أغلب أدلة أهل التوقيف في نشأة اللّغة،من خلال التطرق لمجموعة من مؤلّفات الباحثين والعلماء العرب .والآن نذهب إلى توضيح أصل اللّغة عند أهل المواضعة.

تقوم هذه القضية على توضيح أنّ الأصل في نشأة اللّغة هو الإصطلاح والمواضعة، و ذلك أنها ترتبط في طبيعتها واصلها بالناس أو أصحاب المجتمعات، بحيث يرون أن نشأة اللّغة ترجع إلى إتفاق جماعة من البشر على اصطلاحها ووضع مسميات للأشياء، وهذا ما طرحه الدكتور عبد القادر عبد الجليل في مؤلّفه اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة، إضافه إلى ذلك رأى بأنّ ما يوحي إلى فكرة اصطلاحية اللّغة في نشأتها وضّحه "ابن فارس "فيما اسماه "الأسباب الإسلامية"، ومن خلال قوله تمثيلا لهذا: أنّ العرب كانو يتبعون موروث آبائهم في عاداتهم وتقاليدهم خاصة موروثهم اللّغوي، ويرى أنّه بعد مجيء الإسلام تغيرت لغاتهم وأدخلت عليها زيادات وتحويلات مما يتوافق مع شرائعهم وديانتهم، فالإسلام تطرق إلى الحديث عن مجموعه من الثنائيات الإسلامية منها: المؤمن والمسلم، الكافر والمنافق، الإسلام والمسلم ،كما وضّح الكاتب أنّ المواضعة ليست إلهام من الله لأنّها تستوجب الإشارة والرموز.[1]

وإنّ من أهم المؤلّفات التي اعتمدها الدكتور عبد القادر عبد الجليل، والتي نستند عليها في توضيح هذه القضية والتفصيل فيها أثناء دراستنا ، كتاب "المزهر للسيوطي "الذي أشار إلى هذه

[1] – ينظر: عبد القادر عبد الجليل، اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة، مرجع سابق، ص57-59.

القضية من خلال توظيفه وشرحه لما صّرح به "ابن جني "في هذه النظرية:حيث قال :" ثم لنعد {فلنقل} في الاعتلال لمن قال بأنّ اللّغة لا تكون وحيا؛ وذلك أنّهم ذهبوا إلى أنّ أصل اللّغة لا بد فيهم من المواضعة ،قالو :وذلك بأن يجتمع حاكمان أو ثلاثة فصاعدا ، فيحتاجو إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمّة ولفظا، إذا ذكر عرس به ما مسمّاه ؛ ليمتاز عن غيره ،وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآه العين ،فيكون ذلك أقرب وأخف و أسهل من تكلّف إحضاره لبلوغ الفرض في أبانة حاله ؛بل قد يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن إحضاره، ولا إدناؤه كالفاني، وحال اجتماع الضدّين على المحلّ الواحد ،{و}كيف يكون ذلك لو جاز، وغير هذا ممّا هو جار فيه الإستحالة والتعذر مجراه؛ فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم فأومأوا إليه، وقالوا: إنسان، {إنسان ،إنسان }؛فأيّ وقت سمع هذا اللّفظ علم أنّ المراد به هذا الضرب من المخلوق ،وإن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك ،فقالوا: يد، عين، رأس ،القدم ،أو نحو ذلك، فمتى سمعت اللّفظة من هذا عرف معنيّها وهلمّ جرا فيها ذلك من الأسماء والأفعال والحروف.

ثم لك {من بعد ذلك} أن تنتقل هذه المواضعة إلى غيرها ، فتقول :الّذي إسمه إنسان فليجعل مكانه {مرد }،والّذي إسمه رأس فليجعل مكانه {سرّ }وعلى هذا بقية الكلام.

وكذلك لو بدئت اللّغة الفارسية، فوقعت المواضعة عليها، جاز أن تنقل ويولّد منها لغات كثيرة من الرّومية والزّنجية وغيرهما ؛وعلى هذا ما نشاهده الآن من إختراع الصنّاع لآلات صنائعهم من الأسماء كالنجار، { والصائغ،والحائك}، والبناء، و{كذلك }الملّاح ؛ قالوا :و{كن}لابد لأوّلها من أن يكون متواضعا {عليه} بالمشاهد والإيماء.

قالوا: القديم- سبحانه- لا يجوز أن يوصف بأن يواضع أحدا على شيء ؛إذ قد ثبت أنّ المواضعة لابد معها من إيماء وإشارة بالجارحة نحو المومأ إليه والمشار نحوه. {قالوا} :والقديم{ سبحانه} لا جارحه له ؛ فيصبح لإيماء والإشارة منه بها؛ فبطل عندهم أن تصحّ المواضع على اللّغة منه تقدست أسمائه[1].

[1] - جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، المزهر، مرجع سابق، ص12-13

قالوا: ولكن يجوز أن ينقل الله تعالى اللّغة التي قد وقع التواضع بين عباده عليها ؛بأن يقول: الّذي كنتم تعبّرون عنه بكذا عبّر عنه بكذا، والّذي كنتم تسمّونه كذا ينبغي أن تسموه كذا ؛وجواز هذا منه- سبحانه- كجوازه من عباده ؛ومن هذا الذي في الأصوات ما يتعاطاه الناس الآن من مخالفة الأشكال في حروف المعجم، كالصورة التي توضع للمعميّات والتراجم؛ وعلى ذلك أيضا إختلفت أقلام ذوى اللّغات، كما اختلفت ألسن الأصوات المرتبة على مذاهبهم في الموضوعات؛ فهذا قول من الظهور على ما تراه.

إلا أنّني سألت يوما بعض أهله فقلت: ما ننكر أن تصحّ المواضعة من الله- سبحانه- وإن لم يكن ذا جارحة، بأن يحدث في جسم من الأجسام -خشبة أو غيرها- إقبالا على شخص من الأشخاص، و تحريكا لها نحوه، ويسمع في حال تحرك الخشبة نحو ذلك الشخص صوتا -يضعه اسماله ، ويعيد حركة تلك الخشبة نحو ذلك الشخص دفعات، مع أنّه -عزّ إسمه- قادر على أن يقنع في تعريفه ذلك، بالمرّة الواحدة ،فتقوم الخشبة في هذا الإيماء وهذه الإشارة، مقام جارحة ابن آدم في الإشارة بها في المواضعة؛ وكما أنّ الإنسان أيضا قد يجوز إذا أراد المواضعة أن يثير خشبة نحو المراد المتواضع عليه، فيقيمها في ذلك مقام يدّه ،لو أراد الإيماء بها نحوه.

فلم يجب عن هذا بأكثر من إعتراف بوجوبه ولم يخرج من جهته شيء أصلا فأحكيه عنه، وهو عندي (و) على ما نراه الآن لازم لمن قال بامتناع كون مواضعة القديم تعالى لغة مرتجلة غير ناقلة لسانا إلى لسان، فاعرف ذلك[1].

إنّ "السيوطي" قد فصّل في قضية أصل اللّغة عند أهل المواضعة في مؤلّفه "المزهر" بحيث كان حديثه مطولا ومشتبّعا بمجموعة من الأمثلة والأقوال من العلماء والباحثين العرب، ويمكننا فهمه من ما جاء في مؤلّفه بخصوص هذا الموضوع أنّ اللّغة لم تتصل بالوحي في نشأتها، وإنّما يعود أصلها إلى المواضعة والإصطلاح، وقد بيّن ذلك من خلال توظيفه مجموعة مقولات وأمثلة متعددة وضحت ذلك نتطرق إلى شرح البعض منها: كأن يجتمع جماعة من الحكماء والعلماء لاستعمال مصطلحات وألفاظ

[1] - جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، المزهر، مرجع سابق، ص14.

يتفقون عليها، ليسعوا بذلك إلى توضيح وتبيان مجموعة من الأشياء والمعلومات، سواء كانت مادية أو معنوية، بحيث يطلقون على كل واحد من هاته الأشياء والمعلومات لفظا يوضحه بمجرد النطق به، ويمتاز به عن غيره من الأشياء، ممّا يستبعد ضرورة إحضار الأشياء إلى الواقع لأنّه قد لا يمكن إحضار بعض هذه الأشياء مثلا إذا كانت معنوية خاصة، كما وظّف مثال كلمة {إنسان}، فإن اتفقوا عليها هذه الجماعة من الحكماء من وضع هذا اللفظ إزاء ذلك المعنى، صار سهل فهمها، فمجرد ذكرها يتضح بأنّه هذا الإنسان مخلوق من بني آدم، وإن قصدوا التخصيص مثلا ،اليد بدا ذلك واضحا،و حتى لو ذكر اسم "مرد" أو "سرّ" فهم المقصود منه لأنّهم قد اتفقوا على ذلك ،فيعرفون بأن" مرد" هي للإنسان و"سر "للرأس، وعلى هذا المنوال إتفقوا واصطلحوا على كل مسميات الأشياء, وكذلك مثال مواضعة الله سبحانه وتعالى مسميات الأشياء ونزاهته عن صنع شيء فيه نوع من النقص[1].

وعليه فإنّ "السيوطي" قد ألمّ بموضوع أصل اللّغة عند أهل المواضعة بشكل كبير ،من خلال التطرّق إلى تبيان ذلك والتفصيل فيه عن طريق مقولات وأمثلة توضح ذلك، في حين نجد ما وظّفه يتوافق مع ما صرّح به الدكتور عبد القادر عبد الجليل في كتابه الذي هو قيد الدراسة، بحيث أنّه وظّف ماقاله "ابن جني" كذلك واعتبره دليل عقلي للبرهنة في هذا الموضوع.

كما نجد الدكتور" محمود عكاشة "طرح فكرته حول هذه القضية في مؤلّفه "علم اللّغة مدخل نظري في اللّغة العربية"، فكان أغلب طرحه مثل ماجاء به " السيوطي "في "المزهر"، إلاّ بعض الإضافات من تقديم وشرح، وبما أنّنا تطرقنا لما جاء في كتاب "المزمر للسيوطي" سابقا، ولما وضحه من مقولات لابن جني ،لذلك فهنا نتطرق إلى ما ذكراه هما الإثنان باختصار دون تكرار مع التركيز على الإضافات التي زادها.

ابتدئ الدكتور "محمود عكاشة " كتابه "علم اللّغة مدخل نظري في اللّغة العربية" بتمهيد حول هذه القضية وشرحها في قوله: "يرى أصحاب هذا الرأي أّن الإنسان هو الذي وضع اللّغة وارتجلها

[1] – جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، المزهر، مرجع سابق، ص15-16

ارتجالا ، واصطلح عليها بالتواضع والاتفاق في التواصل اليومي، وقد قام الإنسان بوضعها على مراحل، وهذا ما ذهب أكثر أهل النظر من المتكلّمين ومنهم المعتزلة"[1].

مفاد هذا التقديم أنّ منظور أهل الإصطلاح والتواطؤ لنشأة اللّغة تمثّل في أنّ الإنسان هو الذي قام بوضع اللّغة وارتجالها ،من خلال التوافق خلال التواصل الّذي تعرفه المجتمعات يوميا بين أفرادها وذلك مع ما انتهجه أهل النظر عامة و منهم المعتزلة, ثمّ وظّف بعد ذلك قول "ابن جني" المشهور حول هذه القضية والّذي سبق وأن تطرقنا لذكره وشرحه ،ليضيف الدكتور "محمود عكاشة" بعد ما وظّفه عن ابن الجني" شرح حاول من خلاله التمّيز وتوضيح المراد من ما صرحّ به عن "ابن الجني" والذي تمثّل في قوله:" قد يفهم القارئ لأوّل مرّة من قول "ابن الجني" السابق أنّ الألفاظ اتفق عليها في الإستعمال، كما يتفق أصحاب كل علم على مصطلحاتهم، وأرباب كل مهنة على ما في أيديهم من المسمّيات وإطلاق الأسماء، لايكون على هذا الضبط والإحكام، فالتواضع على المفردات يسير في إطاره الطبيعي دون قصد من إنسان أو نية مبينة ، فالبشر يتناقلون المفردات، ويغيرون فيها دون قصد .وهذا سبب إختلاف دلالتها واختلاف لفظها أحيانا في لغة واحدة ،وقد يكون هذا الكم الكبير من المفردات اللّغوية مولودة من كلمات سابقة، وإعادة صوغها، أو نحت كلمات جديدة (كلمة أو اكثر) لدّلالة على معنى جديد[2].

لقد أعطى صاحب كتاب "علم اللّغة مدخل نظري في اللّغة العربية" رأيه مع الشرح والتفصيل لقول "ابن جني" وذلك أنّ تواضع الإنسان واصطلاحه للمسميات ليس عن طريق الإتفاق على هذه المصطلحات حسب كل مجال وكل علم، وإنّما يكون تلقائيا بحيث يتم تبادل المفردات دون قصد من الإنسان، وهذا ما نتج عنه إختلاف دلالة الألفاظ في اللّغة الواحدة، وكذلك توليد الألفاظ أو نحتها للدلالة على معاني جديدة.

وما يمكننا إضافته في هذه الدراسة كذلك ما جاءت به الدكتورة "نادية مرابط" في كتابها "علوم اللّغة العربية" حول قضية نشأة اللّغة عند أهل المواضعة من خلال قولها: "يرفض أصحاب هذه النظرية

[1] – محمود عكاشة، علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية، مرجع سابق، ص68.

[2] – المرجع نفسه، ص69

أن تكون اللّغة توقيفية لأسباب أشاروا إليها بقولهم: إننا لا نرى منطلقا في العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها، فإطلاق (قلم) على آلة الكتابة مثلا ليس له علّة أوسبب يمكن من ناحية الفرضية استعمال لفظ آخر بدل "قلم" لتلك الآلة ويستحيل على الله سبحانه وتعالى صنع شيء مخالف للمنطق، كذلك أشاروا إلى أنّ اللّغة غير مطردة ويكثر فيها الشاذ والمشترك اللفظي وكل تلك النقائص يجب أن ينزّه الخالق عنها ولا تنسب إليه وإنّما هي أهل الاصطلاح."[1]

وعليه فقد طرحت الدكتورة "نادية مرابط "فكرة أهل الإصطلاح في اللّغة من خلال ذكر الأسباب التي ترفض إحتمالية أن تكون اللّغة توقيفية و،كذلك بعض الأمثلة على ذلك. فمن الأمثلة ذكرت مثال لفظة(قلم) وتخصيصه لإطلاقه على هذه الآلة المعينة بحيث رأوا أنّه ليس هناك سبب يجعل من هذا اللّفظ متخصصا لهذه الآلة، وإنّما يمكن تعدد الألفاظ واختلاف التسميات لشيء واحد، أمّا عن الأسباب فذكرت أنّ اللّغة تمتاز بوجود مجموعة تغيرات تولد عنها ما يسمى من المشترك اللفظي والترادف ،ممّا يعتبر نقص أو عيب يخصّ اللّغة ،والله سبحانه و تعالى منزّه عن كل نقص لذلك لا يمكن أن تكون اللّغة توفيقا من الله، وإنّما هي أهل الإصطلاح".

ثمّ عرضت بعد هذا قول" ابن جني" الذي سبق وأن تطرّقنا إليه بالشرح، لتضيف بعد هذا بعض الإشكاليات حول سبب وضع مسميات للأشياء وذلك ما أشارت إليه في قولها: "وعليه فمذهب الإصطلاح لا يستند على المنطق ،إذ كيف يمكن التفاهم والإصطلاح على تسمية الأشياء، وليست هناك لغة أصلا، فكيف يجمع هؤلاء الحكّام ويتفقون على تسمية الأشياء؟ ومن أين جاءت هذه التسميات للأشياء وليس هناك وجود للغة؟".[2]

لقد صرّحت الدكتورة "نادية مرابط "بأنّ أهل الإصطلاح لا ينتهجون مذهبا يعتمد على المنطق، مضيفة هذه الأسئلة حول كيفية التفاهم على وضع مسميات للأشياء دون وجود لغة أصلا، وكذلك كيفية جمع الحكماء والعلماء على الإتفاق لوضع هذا اللّفظ إزاء ذلك المعنى.

[1]- نادية مرابط، علوم اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، دون ط، الجزائر، سنة2011، ص355.

[2]- المرجع نفسه، ص356.

وبعد هذا حاولت التنبيه إلى نقص لهذا المذهب وهو ما تمثّل في القول الذي ذكرناه عند دراستنا لكتاب "فصول في الفقه اللّغة لإميل بديع يعقوب" سابقا.

كما أشارت إلى صعوبة مناقشة هذه النظرية، ووضّحت إطارها الزماني عند العرب وعند العلماء المحدثون. وهو ماتجلى في قولها: "وبناءا على ما سبق ذكره فإنّ مناقشة نظرية التوقيف والاصطلاح فيها نوع من الصعوبة ،وقد إشتهرت هاتان النظريتان في القرن الرابع الهجري عند العرب، أمّا العلماء المحدثون الذين عاشوا ما بين منتصف القرن الثامن عشر ميلادي وأوائل القرن العشرين، فقد أخذوا بالدراسة والبحث والتقصّي موضوع نشأة اللّغة وبحماسة وجدّية ومعقولية طرحت آرائهم واختلفت وتباينت[1]".

وعليه من خلال دراستنا كتاب "علوم اللّغة العربية لنادية مرابط "نجدها قد عرضت قضية نشأة اللّغة عند أهل المواضعة بطريقة مبسّطة وضحت بها المراد من قولها وتوظيفاتها لأقوال الآخرين من العلماء العرب ،بحيث أنّ ما وظّفته كان بعضه متماثلا ،لما جاء في كتاب "إميل بديع يعقوب فصول في فقه اللّغة "وكذلك لما جاء في كتاب "المزهر للسيوطي "وهو ما يتوافق مع ما جاء به الدكتور عبد القادر عبد الجليل في مؤلّفه قيد الدراسة ،والإختلاف دائما يكون في طريقة الإشارة والطرح.

لقد أشار الدكتور" صادق يوسف الدبّاس" إلى قضية أصل اللّغة الإنسانية عند أهل المواضعة في مؤلّفة" دراسات في علم اللّغة الحديث "بطريقة معينة ابتدأها بشرح هذه النظرية وذكر مقولة "ابن الجني "ثم ذكر مؤيدوا هذه النظرية، ليأتي بعدها إلى ذكر حجج وأدلة القائلون بالإصطلاح، مع محاولة التنبيه إلى ذكر بعض النقائص.

بيّن الدكتور "صادق يوسف الدبّاس" ما يراه أصحاب نظرية الإتفاق والمواضعة في اللّغة وطبيعتها ونشأتها، وذلك في قوله: "يرى أصحاب هذه النظرية أنّ اللّغة مواضعة واتفاق بين الناس، أي أنّ ألفاظ اللّغة اصطلح الناس عليها اصطلاحا ، أي ابتدعت واستحدثت بالتواضع والإتفاق وارتجلت ارتجالا.[2]

[1]- نادية مرابط، علوم اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، مرجع سابق، ص356.

[2]- صادق يوسف الدباس، دراسات في علم اللغة الحديث ، دار أسامة، ط1، الأردن، عمان، سنة2012م، ص30.

ويعني هذا أنّ اللّغة عند أهل هذه النظرية تقوم على المواضعة والإتفاق بين الناس، بحيث أنّ الإنسان هو المسؤول على وضع الألفاظ ولاصطلاحها ولارتجالها، ومن بعد هذا أشار إلى ميل الكثير من العلماء والمفكرين إلى هذه النظرية وذهب إلى تبيان ما قاله "ابن جني" في عدم الجزم بوجود نظرية واحدة تعلّل نشأة اللّغة من خلال توظيفه قوله المشهور المذكور سابقا.

أمّا ثانيا فقد ذكر مؤيدوا هذه النظرية من العصر القديم إلى العصر الحديث من العرب و الغرب واختصرهم في قوله: "وقد أيّد هذه النظرية في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني "ديموكريط" "وأرسطو" ، وفي العصور الوسطى المعتزلة، و"ابن جني "غير أنّ أكثر أهل النظر على أنّ أصل اللّغة، إنّما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف ،فنرى "ابن جني "لا يجزم بنظرية واحدة بعينها بل يذهب إلى أنّ نشأة اللّغة قد يشترط في تعليلها وتوضيحها وتفسيرها أكثر من نظرية واحدة، وفي العصر الحديث آدم سميث الإنجليزي"[1].

ليأتي في العنوان الثالث من هذا الكتاب بخصوص هذه القضية لذكر أهم الحجج في التبرير على إصلاحية اللّغة مختصرا هذه الحجج في وجهين وذلك ما تجلى في قوله :أولا: "لو كانت اللّغات توقيفية لتقدمت واسطة البعثة على توقيف والتقدم باطل، وبيان الملازمة أنّها إذا كانت توقيفية فلابد من واسطة بين الله والبشر وهو النبي لاستحالة خطاب الله تعالى مع كل أحد وبيان بطلان التقدم قوله –تعالى: **"وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه**"وهذا يقتضي تقدّم اللّغة على البعثة.

ثانيا: لو كانت اللّغات توقيفية فذلك إمّا بأن يخلق الله تعالى علما ضروريا أصلا، والأوّل باطل ،وإلاّ لكان العاقل عالما بالله بالضرورة، لأنّه إذا كان عالما بالضرورة يكون الله وضع لكذا كان علمه بالله ضروريا، ولو كان كذلك بطل التكليف ، والثاني باطل، لأنّ غير العاقل لا يمكنه إنهاء تمام هذه الألفاظ، والثالث باطل ،لأنّ العلم بها إذا لم يكن ضروريا احتيج إلى توقيف آخر ولزم التسلسل[2]".

[1]– صادق يوسف الدباس، دراسات في علم اللغة الحديث ، مرجع سابق، ص31.

[2]– المرجع نفسه، ص32

قد أعطى الدكتور" صادق يوسف الدبّاس " أهم الحجج التي تبيّن أنّ نشأة اللّغة لم تكن توقيفية، وإنّما هي إصطلاحية اتفاقية بين الناس، ذاكرا في ختام هذه الحجج ما ذكره كل من الدكتور "اميل بديع يعقوب "والدكتورة "نادية مرابط" في مؤلّفيهما ،وهو ما تمثّل في نقد أو ذكر لنقائص هذه النظرية وهما ذكرناه وشرحناه سابقا في دراستنا لهذه المؤلّفات.

وعليه فإنّ الدكتور "صادق يوسف الدبّاس "قد عرض في كتابه "دراسات في علم اللّغة الحديث "منظور أهل المواضعة في نشأة اللّغة مع ذكر كل من المؤيدين لهذه النظرية، وأهم الحجج والبراهين التي تدلّ على ذلك ،بحيث أنّ عرضه كان بطريقة منظمة وواضحة ،إذ فصّل كل موضوع أو عنوان لوحده مع الشرح والتحليل، وفكرته توافقت مع ماجاء في كتاب اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة لعبد القادر عبد الجليل ولأغلب المؤلّفات العربية في هذا الصدد.

لقد أشار الدكتور "إميل بديع يعقوب "في كتاب "فصول في فقه اللّغة العربية" إلى قضية أصل اللّغة عند أهل المواضعة، حيث كان طرحه لمادته العلمية بطريقة اختلفت عن غيره من العلماء العرب الآخرين حيث قال: "تذهب إلى أن اللّغة ابتدعت بالتواضع والإتفاق ,ومن أنصار هذه النظرية" ابن الجني "وكثيرون غيره ،يقول" ابن جني""غير أن أكثر أهل النظر على أنّ أصل اللّغة إنّما هو تواضع واصطلاح ،لا وحي وتوقيف".لكن ليس لهذه النظرية سند نقلي أو تاريخي، "بل إنّ ما تقرّره ليتعارض مع القواميس العامة التي تسير عليها النظم الإجتماعية، فعهدنا بهذه النظم ،أنّها لا ترتجل ارتجالا ولا تختلق خلقا ،بل تتكوّن بالتدريج من تلقاء نفسها ،وهذا إلى أنّ التواضع على التسمية، يتوقف في كثير من مظاهره ، على لغة صوتية يتفاهم بها المتواضعون ،فيما يجعله أصحاب هذه النظرية منشأ للغة ،يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل"[1].

خلاصة القول أنّ الدكتور "إميل بديع يعقوب "صرّح بأنّ الأصل في نشأة اللّغة يعود إلى الإتفاق والتواضع بين أفراد جماعة من الحكماء، طارحا في هذا المجال قول" ابن جني" الذي صرّح بأنّ أصل اللّغة إنّما هو تواضع واصطلاح ،لا وحي وتوقيف ،ولكنّه في نفس الوقت أشار إلى تعقيب على

[1]-إميل بديع يعقوب، فصول اللغة العربية، مرجع سابق، ص 10، 11.

أدلة هذه النظرية، بحيث أنّها ليس لها سند أو متكأ نقلي أو تاريخي يثبت إصطلاحية اللّغة ،بل إنّ إصطلاح مسمّيات الأشياء إنّما يتوقف على لغة صوتية يتفق عليها المتواضعون.

وعليه فإنّ ما صرّح به الدكتور" إميل بديع يعقوب "في فكرته هنا يتوافق مع ما صرّح به الدكتور عبد القادر عبد الجليل في مؤلّفه قيد الدراسة ،لكنّ الإختلاف يكمن في كيفية الطرح والأدلة المعتمدة من العلماء في التبرير على ذلك وكيفية توظيفها.

كما نجد أنّ الدكتورة "نور الهدى لوشن "قد أشارت إلى هذه القضية في مؤلّفها "مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي "،حيث وضحّت ذلك من خلال توظيف قول "ابن جني ":"إنّ أصل اللّغة لا بد فيه من المواضعة ،وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء، فيضعوا لكل منها سمة و لفظا يدلّ عليها ويغنى عن إحضاره أمام البصر ، وطريقة ذلك أن يقبلوا مثلا على شخص ويومئوا إليه قائلين: إنسان ،فتصبح هذه الكلمة إسما له. وإن أرادوا سمة عينه أو يده أو رأسه أو قدمه أشاروا إلى العضو وقالوا يد ،رأس، قدم...الخ، ويسيرون على هذه الوتيرة في أسماء بقية الأشياء، وفي الأفعال والحروف ،وفي المعاني الكلّية، والأمور المعنوية نفسها، وبذلك تنشأة اللّغة العربية مثلا ،ثمّ يخطر بعد ذلك لجماعة منهم كلمة (مرد) بل إنسان، وكلمة(سر) بدل رأس، وهكذا فتنشأ اللّغة الفارسية[1]."

اهتمت الدكتورة" نور الهدى لوشن" بموضوع نشأة اللّغة العامة وبقضية أصلها عند أهل المواضعة، وهذا ما تجلّى في كتابها "مباحث علم اللّغة" من خلال ما قاله "ابن الجني "في أنّ الأصل في اللّغة الإصطلاح التواضع، وذلك بأن يتفق جماعة من الحكماء ليصطلحوا كل مسمى على شيء خاص به يوضحه، ويجعل بمجرد ذكره تتضح صورته .وعليه فما صرّحت به الدكتورة هنا قد ذكر في كتاب "المزهر للسيوطي" بالتفصيل والتمثيل لذلك ففكرتها تتوافق مع ما قدمه الدكتور عبد القادر عبد الجليل في مؤلّفه قيد الدراسة.

[1]- نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مرجع سابق، ص 45.

القضية05 : اللّفظ والمعنى :

تعدّ قضية اللّفظ والمعنى من القضايا الهامة في تراثنا العربي بصورة خاصة، حيث أنّ هذه القضية إخترقت الثقافة العربية الإسلامية بوجه عام، فهيمنت على تفكير العلماء على إختلاف توجهاتهم واختصاصاتهم في اللّغة والنحو والبلاغة والنقد والفقه وعلم الكلام والتفسير على حد سواء ،فاحتلت موقع الصدارة في تفكيرهم اللّغوي فالعرب القدامى، وعلى اختلاف تخصصاتهم نجدهم يخوضون في هذه القضية.

لطالما أنّ قضية اللّفظ والمعنى كانت من القضايا البارزة، والتي أخذت اهتماما بالغا من طرف الكثير من العلماء اللّغويين والأصوليين، ومن هذا المنبر نجد عبد القادر عبد الجليل في مؤلّفة اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة يشير إلى هذه الفكرة من حيث العلاقة القائمة بينهما :"إنّ الحديث عن مسألة اللّفظ والمعنى عند الأصوليين واللّغويين من المسائل التي أخذت الكثير من النزاعات والنقاشات حول العلاقة القائمة بينهم ،غير أنهم يتفقون هم الأخرون على وضع المعاني مرتبة متقدمة على اللّفظ"[1].

وفي هذا السياق نجد الدكتور "عبده الراجحي" في كتاب" فقه اللّغة في الكتب العربية "تطرّق إلى هذه الفكرة بقوله: "وماعبر به ابن الجني من أنّ اللّفظ يغني بذكره عن إحضار (الشيء) إلى مرآة العين ،هو ما يمكن أن نقرنه بما قاله الأستاذ" قاربتورج" من أنّ كل مجموعة معينة من الأصوات يقابلها حالة وعي و إدراك خاصة: فسلسلة الأصوات التي تكون الكلمة الفرنسية arbre =(شجرة) مرتبطة ارتباطا وثيقا، في مجال إستعمالها باللّغة الفرنسية، بتمثيلها arbre،وهذا الإرتباط قد يبدأ من الكلمة إلى التمثيل، وقد يبدأ على العكس عن ذلك من التمثيل إلى الكلمة، فما إن أسمع الكلمة حتى تنبعث الصورة image حالا في عقليexprit، وعلى العكس من هذا إذ انبعثت الصورة في عقلي فإنّها تثير الكلمة ولو لم تنطقها أعضاء النطق، وهكذا فإنّه يرتبط بكلّ مجموعة من الأصوات عند الناطق بها وعند السامع إليها جميعا(تصور لغوي concept lingiustique)،واعتبار

[1]- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة، مرجع سابق، ص65، 70

اللّغة نظام من العلامات أو الرموز الصوتية، يقوده إلى نقطة أخرى لم يغفل عنها علماء العربية، ولم يهملها علماء اللّغة المحدثون أيضا، تلك هي العلاقة بين اللّفظ ومدلوله أو بين" الرمز "وما يرمز إليه[1]".

ويتضح لنا من خلال ما أورده الدكتور "عبده الراجحي" في كتاب" فقه اللغة في كتب العربية" حول قضية اللّفظ والمعنى في إبراز العلاقة القائمة بينهما أننا بمجرد النطق بكلمة من الكلمات سيظهر لنا صورة تمثل تلك الكلمة، وهذا ما يترجمه العقل البشري، ومن هذا المنبر نلاحظ أنّ العلاقة بين اللّفظ والمعنى ذات صلة تبادل وكلاهما يستدعي الأخر.

وفي كتاب آخر للدكتور "أبو سعود أحمد الفخراني المعنون "بتطور اللّغة الربط بين اللّغة والفكر والصوت اللّغوي "صرّح بهذه الفكرة قائلا: "ونرى أحد الباحثين المحدثين يفرق بين اللّفظ والكلمة ويرى أنّ اللّفظ يشير بوجه خاص إلى الناحية الصوتية من الكلمة،و أنّ الكلمة تشير إليها و إلى المفهوم المعنوي للّفظ معا،وقد لاحظ هذا المعنى نحاتنا القدماء حين عرفوا الكلمة بأنّها لفظ مفيد لمعنى على أنّ العرف جرى على استعمالها في معنى واحد، واعتبارهما مترادفين والإغضاء عما بينهما في الأصل من فرق دقيق، كما يرى أنّ اللّفظ يثير في ذهن السامع صورة الشيء الذهنية ومفهومه لا الشيء نفسه،ويكون الإنتقال إلى الأشياء الحسّية عن طريق هذه الصورة الذهنية أو المفاهيم أو المعاني القائمة في أذهان الناس والمتكونة فيها نتيجة تجاربهم ،كما يرى أنّ الدلالة (وهي إثارة اللّفظ للمعنى الذهني أو لمدلوله) ليست مرادفة للمعنى، ففي الإتصال اللّغوي رمز دال هو اللّفظ، ومدلوله هو المعنى والدلالة هي الإرتباط بينهما"[2].

والمقصود من قول الدكتور" أبو سعود أحمد الفخراني" أنّ اللّفظ هو الكلمة التي يتلقاها السامع، والمعنى هو الصورة الذهنية الموجودة في العقل البشري أي أنّ اللّفظ هو الدّال ،والمعنى هو المدلول والعلاقة بينهما هي علاقة تلازمية.

[1]- عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ، د ط،بيروت العربية، ص65.

[2]- أبو السعود الفخراني، تطور اللغة- الربط بين اللغة والفكر والصوت، دار الكتاب الحديث، ط1،القاهرة، سنة 1432هـ، 2011م، ص160

كما نجد الدكتور" علي زوين" هو الآخر في كتابه" منهج البحث اللّغوي بين التراث وعلم اللّغة الحديث- دراسات" -تحدث عن مفهوم المعنى عند كل من الأصوليين واللّغويين بقوله: " المعنى عند الأصوليين: علم أصول الفقه أو علم الأصول كما يعبر عنه في كتب التعريفات والمصادر الفقهية والأصولية علم له تعلق خاص باستنباط أحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية اليقينية و موضوعه الأدّلة الشرعية الكلية من حيث أنّها كيف يستنبط عنها الأحكام الشرعية، أمّا المعنى عند اللّغويين وأول ما تجدر الإشارة إليه هو تحديد مصطلح(المعنى) في مفهوم اللّغويين لهذا المصطلح فقد جعل "ابن فارس" المعنى والتفسير والتأويل من المقاصد المقاربة للتعبير عن الأشياء لذلك عقد بابا في كتابه بعنوان : باب معاني ألفاظ العبارات التي يعبّر بها عن الأشياء قال: ومرجعها إلى ثلاثة وهي :المعنى والتفسير والتأويل"[1].

ونستخلص من هذا القول أنّ للمعنى أهمية كبيرة خاصة عند الأصوليين واللّغويين لأنّهم يعتبرون النص الشرعي عبارة عن ألفاظ دالة على معنى معين، أمّا اللّغويين فيجعلون المعنى بمفهوم التفسير والتأويل.

[1]- علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار غيداء، ط1، الأردن، سنة 1434هـ، 2014م، ص126- 128.

القضية06: قضية أصول ألفاظ العربية.

إنّ البحث في أصل اللّغة من جهة كونها ظاهرة وجودية أمرا لم يملكوا منه إلى وضع فروض وترجيح تصورات عن "الوضع الأول" فإنّ محاولة البحث في أصول العربية كان المجال الأرحب الذي دار في فلكه الفكر اللّغوي القديم عند بحثه عن الموضوع عند وضعه الأول، وهنا تبرز قضية أساسية ينبغي ملاحظتها وتعميقها، وأعني بها قضية "الإشتقاق" .

تحدّث عبد القادر عبد الجليل في كتابه الذي نحن بصدد دراسته عن قضية هامة، وقد تناولها الكثير من الباحثين والعلماء اللّغويين، والتي تمثلت في قضية أصول ألفاظ العربية ،وذلك باستناده على أمثلة تثبت ذلك قائلا: "فالأصل مثلا فالجذر ق+و+ل يأخذ عدة تقليبات ودلالته الاشتراك في معنى واحد ألا وهو الخفوف والحركة"[1] .

وفي هذا المقام نجد الدكتور" محي الدّين محسّب" في كتابه "علم الدلالة عند العرب فخر الدين الرازي نموذجا" تناول هذه الفكرة باعتماده على مجموعة من الأمثلة التي ثبتت رأيه في قوله: «ويمكن للباحث في هذا السياق أن يكتفي حتى لا يقع في النقل والتطويل بأن يذكر بعض نماذج من المعالجات الاشتقاقية المتناثرة في تفسير الرازي، وهذه المعالجة تتوزع ما بين القول بفكرة الأصول الحسية لدلالات الألفاظ ثم الأخذ بفكرة القيمة الرمزية لأصوات الألفاظ، وأخيرا بالالتفات إلى القيمة الدلالية للمباني الصرفية أو ما يسميه هو بهيئات الصّيغ، ومن الأمثلة التي يسوقها الرازي لفكرة الأصول الحسية لدلالات الألفاظ التي يكاد بعضها يستعملونها في معان بالغة التجريد.

- كذلك فإن الدلالة الحسّية الأصلية لكلمة الفرض في اللّغة هي الحز و القدح : "قال ابن الأعرابي الحز والقدح والزند وفي غيره،وفرضه القوس: الحز الذي يقع في الوتر ومنه فرض الصلاة وغيرها،وأنّها لازمة للعبد كلزوم الحز للقدح، وقد جاء في القرآن فرض بمعنى أبان وهو قوله تعالى: " سورة أنزلناه وفرضناها"سورة النور الاية 1 بالتخفيف وهذا أيضا راجع إلى معنى القطع لأنّ من قطع شيئا فقد أبانه من غيره و(فرض) بمعنى (أوجب) والفرض(أبان) كلاهما يرجع إلى أصل واحد.

[1]- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة، مرجع سابق، ص74-75

- وتركيب حروف (خ. ش. ي) في تقاليبه يلزمه معنى الهيبة يقال(شيخ) للسيّد والرجل الكبير المسّن، وهما جميعا مهيبان ،والفرق بين الخشية والخوف أنّ (الخشية) من عظمة المخشي و(الخوف) خشية من ضعف الخاشي، وذلك لأنّ تركيب (خ. و.ف) في تقاليبها يدل على الضعف، تدل عليه (الخيفة) و(الخفية).
- والدلالة الحسية الأصلية لكلمة (إفك) من(أفكت الأرض) إذا صرف عنها المطر والإفك: الكذب لأنه صرف عن الحق.
- وأصل الخصام من الخصم: وهو ناحية الشيء وطرفه، والخصم طرف زاوية وطرف الأشفار... وخصوم السحابة وجوانبها."[1]

نلاحظ من خلال الأمثلة التي أوردها لنا الدكتور" محي الدّين محسّب" في كتابه" علم الدلالة عند العرب فخر الدين الرازي " نموذجا" حول هذه الفكرة أنّ الأصول الحسّية لدلالات الألفاظ تعود إلى القيمة الرمزية لأصوات الألفاظ.

وفي كتاب آخر نجد الدكتور" صبحي صالح "في كتابه" دراسات في فقه اللّغة "تحدث أيضا عن هذه الفكرة مستشهدا في ذلك على أمثلة بقوله: "لذلك أطلق بعض الباحثين العصريّين بأنّ الذي يتقرّى كلم العربية بإنعام نظر يجد أنّ لمعظم موادها أصلا يرجع إليه كثيرا من كلماته إن لم نقل كلها، خذ على ذلك مثالا مادة(فل) ومايثلثها تجد الجميع يدور حول معنى الشق والفتح مثل: فلح فلع، فلق، فلد، فلى ،ومثل ذلك كلمة (قط) وميثلثها ، تقول :قط ، قطع ،قطف ، قطن ،وكلها بمعنى الإنفصال.

فهذا "ابن الفارس" في" المقاييس" يريد أصل(باب القاف والطاء و مايثلثهما)إلى معنى القطع فيراه في(القطع) الذي يدل على الصرم وإبانة شيء من شيء، وفي(قطف) الذي يدل على أخذ ثمرة من شجرة، وفي (قطل) الذي يدل على قطع الشيء، وفي(قطم) الذي يدل على قطع الشيء أيضا

[1] – محي الدين محسب، علم الدلالة عند العرب– فخر الدين الرازي نموذجا، دار الكتاب الجديد المتحدة، ، ط1،لبنان،سنة 2008، 29-30.

فالعين والفاء واللام والميم جاءت أحرفا زائدة على الأصل ثنائي(قط) فخصصت معنى القطع ونوّعته بين الصرم والإبانة والأخذ ، وردّدته تبعا لأصواتها بين الدرجات الشّدة والغلظة في إحداث القطع.[1]

نستنتج من خلال ما تطرق إليه الدكتور" صبحي صالح "في كتابه "دراسات في فقه اللّغة" أنّ لكل ألفاظ العربية أصول تعود إليها.

[1] – صبحي صالح صالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملاين، د ط، بيروت، لبنان، ص155-156.

القضية 07 : الثنائية وعلاقتها بالمناسبة الطبيعية.

تطرق صاحب كتاب اللّغة بين ثنائية التوفيق والمواضعة إلى مسألة هامة، والتي تمثلت في قضية الثنائية وعلاقتها بالمناسبة الطبيعية ،إذا اعتبرها من الأمور التي شغلت الكثير من العلماء اللّغويين حيث رأى:" أنّ كثير من علماء اللّغة يذهبون إلى إثبات الصلة الوثيقة بين الصوت والمعنى على أساس محاكاة الإنسان لأصوات الطبيعية المختلفة[1] ".

وفي هذا السياق نجد الدكتور "صبحي صالح" في كتابه "دراسات في فقه اللّغة"تحدث عن هذه الفكرة بقوله:" أمّا الثنائية التاريخية فتعود لدى أكثر القائلين بها إلى تفسير نشأة اللّغة الإنسانية بمحاكاة أصوات الطبيعة ، كتقليد الإنسان أصوات الحيوان ، وأصوات مظاهر الطبيعة ، أوتعبيره عن انفعالاته الخاصة أو عن الأفعال التي تحدّث عند وقوعها أصواتا معينة "[2]

ونستنتج من خلال قول الدكتور" صبحي صالح" أنّ نشأة اللّغة الإنسانية مرتبطة بمحاكاة الإنسان لأصوات الطبيعة .

كما أشار الكاتب في قضية الثنائية وعلاقتها بالمناسبة الطبيعية على أن بعض العلماء يقيمون هذه الصلة على أساس المواضعة والإصطلاح بقوله:" أن التناسب بين اللّفظ والمعنى يقوم على أساس إختيار الإنسان لكل لفظ المعنى التي تقوده إليه أصواته"[3].

وفي نفس المرجع السابق نجد" صبحي صالح "يحدثنا كذلك عن هذه الفكرة قائل:" وممن صرّح بهذه الظاهرة وقرّرها "ابن سليمان الصّيمري"أحد رجال الإعتزال المشهورين في عصر المأمون، فقد ذهب إلى أنّ بين اللّفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع قال:وإلا لكان تخصص الإسم المعين بالمسمى المعين ترجيحا من غير مرجح، وقد آثر عبّاد في طائفة من اللّغويين ظلّت تدين بهذه المناسبة حتى خرجوا على طبيعة العربية نفسها، ليقولوا كلمتهم في هذا الموضوع في لغة الأعجمية لا نعرف على وجه التحديد مدى إجادتهم لها،كما ينص ابن الجني- تلقت هذا المذهب بالقبول

[1]- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، اللغة بين ثنائية التوثيق والمواضعة، مرجع سابق، ص:83.

[2] - صبحي صالح صالح، دراسات في فقه اللغة، مرجع سابق، ص37

[3]- ينظر: عبد القادر عبد الجليل، مرجع سابق، ص146.

وليس مرد الخلاف في الحقيقة إلا وجود هذه المناسبة الطبيعية وعدم وجودها،بل إلى مايراه عبّاد من أنّ هذه المناسبة ذاتية موجبة ،بمعنى أنّها لا تتخلف ولا بد من وجودها ".[1]

ونستخلص مما سبق أن قضية الثنائية وعلاقتها بالمناسبة الطبيعية ذات صلة تواضعية مصطنعة وهذا ما أكد عليه عبّاد بقوله أنّ هذه المناسبة ذاتية موجبة.

وخاتمة القول عند عبد القادر عبد الجليل في كتابه اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة حول هذه الفكرة لخصت على أنّه مهما كان ذلك التصور الذي يذهب به الكثير من اللّغويين حول التناسب بين الألفاظ ومدلولاتها أنّه لاينفي المذهب التوقيفي ،وهذا ما أكده كل من الدوائر الدينية.

[1] – صبحي صالح صالح، دراسات في فقه اللغة، مرجع سابق، ص150-151.

نقد وتقويم

عتبة العنوان: من خلال دراستنا لهذا الكتاب اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة للدكتور عبد القادر عبد الجليل نستنتج أنّ العنوان مطابقا تماما للمضمون ،وذلك لأنّ الكاتب تحدث في ثنايا عناوينه عن كل ما يخص موضوع نشأة اللّغة الإنسانية من تعريفات وحجج وبراهين متمثلة في آيات قرآنية وآحاديث نبوية وأقوال للعلماء اللّغويين والأصوليين في تحديد على أنّها توقيف أم مواضعة ، بغية توضيح أصل اللّغة وطبيعتها .

الحكم على الكتاب من الجانب المعرفي :

يعد كتاب اللّغة بين التوقيف والمواضعة للدكتور عبد القادر عبد الجليل مرجع علمي مهم لكل الباحثين في مجال اللّغة ،وذلك نظرا لأهميته وقيمته لما يحتويه من موضوعات وقضايا هامة ، والدليل على ذلك اعتماد الطلبة والأساتذة الجامعيين عليه كمرجع أولي وأساسي في دراستهم وبحوثهم الأكاديمية .

أهم الاعتراضات والانتقادات الّتي وجهت للكتاب:

- لم نجد أي انتقادات أو اعتراضات مباشرة لهذا الكتاب من طرف الدكاترة أو الباحثين من أقران زمانه أو غيرهم ،ومن خلال مجهودنا المتواضع لقراءة هذا الكتاب حاولنا تسليط الضوء على بعض النقائص والهفوات وإن كانت بعضها غير مهمة ولكن لا بد من ذكرها :
- عدم احتواء الكتاب على مباحث وفصول محددة ، مما استعصى علينا تحديد فصول لمذكرتنا .
- صعوبة فهم العناوين المذكورة في الكتاب .
- صعوبة الموضوع واحتياجه إلى الدقة والتفحص في دراسته،ممّا أدى بنا إلى بذل جهد اكبر في محاولة دراسته .
- طول المدخل الّذي قدّم به إلى موضوع الكتاب .
- صعوبة إيجاد المعلومات الشخصية للكاتب .
- هناك بعض القضايا الّتي تناولها الدكتور عبد القادر عبد الجليل في كتابه اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة لم نجد لها مصادر ومراجع كافية للإلمام بها.

خاتمة

خاتمة

لكل بداية نهاية ولا شك أنّ من سار على الدرب وهو متوكل على الله وصل، فما أجمل أن يعيش الطالب لحظات البحث والمثابرة طيلة السنوات الدراسية بذكرياتها ومفاجأتها نهاية بدايتنا مسك بإذن الله لأنّها وبحق ثمرة جهد طويل وصبر جميل.

ألّف الدكتور" عبد القادر عبد الجليل" كتابه" اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة" بغية جعله مادة علمية يستند عليها أغلب الباحثين في دراساتهم وأبحاثهم العلمية ،وكذلك للتأكيد على قدسية الكتاب الكريم باعتباره مناط الحياة الإسلامية ودستور الأمه، معتمدا في هذا التوضيح على توظيف مجموعة من الآيات القرآنية ومراجع أدبية، مضيفا في هذا المجال مجموعة من الإشكالات التي تثير مسألة البحث في هذا الموضع.

خاتما هذا الكتاب في محاولة توضيح علاقة كل من اللّفظ والمعنى بالمناسبة الطبيعية.

ومن خلال دراستنا المتواضعة لكتاب" عبد القادر عبد الجليل "خرجنا بجملة من النتائج كانت كالتالي:

1/ إنّ نشأة اللّغة لم ترتبط بأحد النظريتين لا التوقيف ولا المواضعة، وإنّما كان تكامل بين عدة نظريات لغوية.

2/ إنّ موضوع نشأة اللّغة شغلت الكثير من الحضارات القديمة والحديثة، حيث أنّ صاحب كتاب قيد دراسة عرض بعض هذه الحضارات أهمّها، الحضارة المصرية، واليونانية، والعبرية و الآرامية.

3/ تميّزت اللّغة بالتناسب الطبيعي بين الألفاظ ومدلولاتها.

4/ إنّ موضوع نشأة اللّغة يحتاج إلى البحث الدقيق والتخمين والتأمل، بحيث لا يمكن الجزم في نتائجه.

5/ إنّ نشأة اللّغة كانت أو جاءت من الله بوحيه لأدم عليه السلام و التتمة من الناس.

6/ إنّ للعربية أصول تعود عليها .

7/ تعتبر قضية اللّفظ والمعنى من القضايا الأساسية التي عالجها أهل اللّغة العربية .

وخلاصة القول أنّ كتاب" عبد القادر عبد الجليل" حمل في طياته مواضيع شيقة ومفيدة.

ونتمنى أن نكون قد استبان قصدنا في هذه الدراسة وتبيّن سبيلنا واستقام منهجنا فهو فضل من أفضال الله علينا يستوجب حمده وشكرانه، وإن كنّا قد قصرنا في هذه الدراسة فللّه الكمال.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع و المصادرالمعتمدة

القرآن الكريم برواية ورش

1- المصادر و المعاجم العربية:

1. ابن جني، الخصائص، دار الكتب المصرية.
2. ابن منظور، لسان العرب،
3. جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، المزهر، دار أحياد العربية،

2- المراجع العربية و المترجمة:

1. ابراهيم محمود خليل، مدخل إلى علم اللّغة، دار المسيرة، عمان، ط1، 1430هـ-2010م.
2. أبو السعود الفخراني، تطور اللّغة- الربط بين اللغة والفكر والصوت، دار الكتاب الحديث، ط1،القاهرة، سنة 1432هـ، 2011م.
3. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، (د ب، دت.
4. اميل بديع يعقوب، فصول في فقه اللّغة العربية، المؤسسة الحديثة للكتاب، ، ط1،بيروت، سنة 2011.
5. حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللّغة، دار المعرفة الجامعية، ، (د ط)،مصر، سنة2005م.
6. صادق يوسف الدباس، دراسات في علم اللّغة الحديث ، دار أسامة، ط1، الأردن، عمان، سنة2012م.
7. صبحي صالح صالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، د ط، بيروت، لبنان.
8. عبد القادر عبد الجليل ، اللّغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة ، دار صفاء ط1، عمان الأردن ،سنة 1432 هـ/2011م.
9. عبد القادر عبد الجليل ، المعجم الوصفي لمباحث علم الدلالة العام، دار صفاء ،ط1، عمان ، الأردن سنة 1432هـ/2011م.
10. عبده الراجحي، فقه اللّغة في الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ، د ط،بيروت العربية.
11. علي زوين، منهج البحث اللّغوي بين التراث وعلم اللّغة الحديث، دار غيداء، ط1، الأردن، سنة 1434هـ، 2014م.
12. عنود الشايش الخريشا، أسس المناهج واللّغة، دار الحامد، ، ط1،عمان، 1433هـ- 2012م.
13. محمد شهاب، اللّغة العربية تأصيل وإبداع، دار قنديل، عمان، الأردن، ط1، 2014م.
14. محمود عكاشة، علم الله مدخل نظري في اللّغة العربية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ، ط1، مصر،سنة 1428هـ، 2007م.

15. محي الدين محسّب، علم الدلالة عند العرب- فخر الدين الرازي نموذجا، دار الكتاب الجديد المتحدة، ، ط1،لبنان،سنة 2008.
16. نادية مرابط، علوم اللّغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، دون ط، الجزائر، سنة2011.
17. نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، دار المكتب الجامعي الحديث،د ط، سنة 2008م.

الفهرست

الفهرست

تـــشـــكـــرات

إهـــــــــــداء

البطاقة الفنية

مقدمة ..... هـ

المدخل 4

الفصل الأول: تلخيص الكتاب 9

استهلال استدلالي 10

استهلال استقرائي 16

المسار المصري القديم 27

المسار اليوناني 28

المسار العبري والآرامي 29

استقراء النصوص النقلية ومناقشتها 30

استقراء النصوص العقلية ومناقشتها 37

الدلالة الصوتية 43

جذور ومواقف 48

الفصل الثاني: دراسة بعض قضايا الكتاب 56

القضية 01 : الثنائية اللّغوية بدل الإزدواجية اللّغوية 57

القضية 02: أصل اللّغة في الحضارات القديمة 60

القضية03: أصل اللّغة الإنسانية عند أهل التوقيف 63

الفضية 04: أصل اللّغة الإنسانية عند أهل المواضعة 72

القضية05 : اللّفظ والمعنى 82

القضية06: قضية أصول ألفاظ العربية. 85
القضية 07 : الثنائية وعلاقتها بالمناسبة الطبيعية 88
نقد وتقويم 89
خاتمة 89
قائمة المصادر والمراجع 89
الفهرست 89